روايات عبير

الكبرياء والحب

www.elromancia.com

مرمورية

No. 018

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

روايات عبير

الكبرياء والحب

◆ هل يقود الحب أحيانا إلى الشعور بالضياع و اليأس. إذا كان القلب لا يعرف من يحب ....؟

هذا ما أدركته سالى ابنة الثالثة و العشرين ربيعا. التى أحبت جون رفيق طفولتها وصباها. وباتت تحلم بأن يجمعهما عش الزوجية الجميل. ولأنه اختار عملا يحبه فى منطقة نائية. بين الغابات والوحوش الضارية والأخطار. تركت أهلها وسافرت إليه تحمل فستان زفافها.

لكن الرحلة كانت صعبة للغاية. وعجزت عن الوصول إلى حبيبها بأية وسيلة مواصلات. لذلك غامرت واختبأت داجل صندوق شاحنة يقودها رجل قاس متعجرف.اكتشف وجودها بعربته فعاملها بوحشية بالغة. إلا أن الفتاة أحبته... وتحير قلبها بين الحبيبين لتعانى الحيرة و الضياع...!!

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

W.Salama 0101517873

No.018

روايات عبير

الكبرياء والحب

روز ميرى كارتر

www.rewity.com

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

١- الانثى العنيدة

فى محطة ستريمز الصغيرة، يتوقف القطار فترة وجيزة جدا لا تكاد تكفى لنزول مسافر أو صعود آخر، ولذلك جمعت سالى أويريان أمتعتها بسرعة وهرعت نحو باب الخروج.

لم تلاحظ سالى الرجل الذى كان يتوجه الى المكان ذاته، وكأنه على غير عجلة من أمره. حملت حقيبتها الكبيرة ووضعتها قرب الباب، ثم عادت لتحضر الكيس المنتفخ الذى تضع فيه الأشياء الضرورية، رفعته واستدارت للتوجه ثانية نحو باب المحطة، فاصطدمت بذلك الرجل الذى كان قد تحرك من مكانه فى اللحظة ذاتها. فوقع الكيس الثمين من يدها، وتدحرج بضعة أمتار بعيدا عنها. شهقت بانفعال شديد وأسرعت لالتقاطه، فيما كان القطار يبدأ انطلاقه بسرعة نحو وجهته التالية.

حضنت سالى الكيس بين ذراعيها، ونظرت الى ذلك الرجل الصامت الطويل القامة بعينين زرقاوين تتفثان لهبا حارقا.. وقالت له بلهجة حادة:

- اعتقد أن من واجبك تقديم الاعتذار عما حدث!

وجه الرجل نظرات ساخرة الى وجهها المتعب الذى لفحته الشمس، وقال لها ببرود:

– أنوثة غاضبة فى قلب منطقة وعرة؟ أنا الذى أنتظر منك تقديم الاعتذار.

زادت حدة غضبها وقالت له بعصبية:

– منى أنا؟ كدت أفقد بعض أمتعتى الثمينة، وأنت تتوقع منى الاعتذار..؟

– تسرعك وحده هو السبب.

تأمل وجهها الذى زاده الحنق احمرارا، ثم حول نظراته ببطء شديد نحو بقية جسمها النحيل الجذاب. وعندما نظر ثانية الى عينيها الجميلتين، ابتسم وقال بلهجة قريبة من التهكم:

– يبدو لى أن الصبر ليس احدى فضائلك ولذلك فلن اذكرك بأنك انت التى دفعتنى ومسؤولة بالتالى عن تقديم الاعتذار.

حاولت الرد عليه، ولكنه سبقها الى الكلام قائلا بهدوء:

– هل تحتاجين الى أية مساعدة؟

لو كانت الظروف طبيعية وعادية مع هذا الرجل، لكانت رحبت من صميم قلبها بسؤاله غير المتوقع. لكن لهجته المتغطرسة جعلت احتمال قبولها مساعدته أمرا مستحيلا. رفعت رأسها بشموخ، وقالت له بنبرة جافة:

– لا، شكرا.

لم يقل لها الرجل المستفز شيئا، بل حمل حقيبتيه الثقيلتين وابتعد عنها بخطى ثابتة وقوية. رفعت نظرها عنه بصعوبة، فيما كانت تفكر بخطواتها المقبلة وعما إذ كنت غبية عندما رفضت عرض المساعدة الذى قدمه لها؟ لقد كانت تعلم قبل توجهها الى ستريمز ان عليها ايجاد طريقها بنفسها وبدون مساعدة أحد...

وخاصة من الرجال الأقوياء المتعجرفين.

سألها والدها بقلق قبل سفرها عما ستفعل لدى وصولها، وقالت لها امها بحزن انها خائفة من المضاعفات التى ستنجم عن قرارها الانفعالى المفاجىء بالسفر لكنها كانت قد اكدت لهما بلهجة هادئة وحازمة تصميمها على القيام برحلتها، بغض النظر عن المشكلة البسيطة التى ستواجهها فى ستريمز عندما ستضطر للاستعانة بقطار أو بسيارة أجرة للوصول الى المنطقة المسماة حوض التماسيح... حيث يعمل جون.

لقد كانت رحلتها من المدينة البعيدة الى ستريمز عادية جدا ، وخلت من أى أحداث مثيرة أو مزعجة. فلماذا ستكون المرحلة المتبقية حتى حوض التماسيح مختلفة؟ ليس عليها الآن الاستفسار عن الوسيلة الفضلى لمتابعة طريقها.

تطلعت حولها علها ترى المؤول عن المحطة الصغيرة الفقيرة، أو حتى أى انسان آخر يدلها. فلم تشاهد أحدا. سارت أمام المبنى المتواضع، فلم تسمع صوتا أو حركة. أصبحت بصورة تامة و شعرت سالى للمرة الأولى منذ مغادرتها بيتها بشىء من القلق، وتمنت بشكل عابر وسريع لو انها قبلت مساعدة ذلك الرجل.

أنبت نفسها لمجرد التفكير بمثل هذه الأمور، وأخذت تتأمل باعجاب ظاهر السهول الخضراء الشاسعة الممتدة أمامها. إنها سوف تتزوج من جون وتعيش معه فى هذه المناطق النائية، وستتعلم بالتالى كيف ستواجه المشاكل والصعاب. ستعلمها قساوة الحياة كيفية مجابهة العزلة والوحدة، فعندما يمضى زوجها طوال النهار بعيدا عن البيت. ستضطر لاتخاذ قرارات هامة بمفردها، لأنها قد لا تتمكن فى بعض

الأحوال الطارئة من انتظار الزوج أو اتصال به.

وفجأة.. سمعت صوت الرعد، وشاهدت الغيوم السوداء فى السماء، فقررت التصرف بصورة عاجلة. وضعت علبة الحلوى تحت ابطها وحملت الحقيبة والكيس فى يديها، ثم اجتازت بسرعة الأمتار القليلة التى تفصلها عن الطريق. ولما تجاوزت الكوخ الصغير، الذى يستخدم على الأرجح كمكتب لمحطة السكك الحديدية، شاهدت بارتياح بالغ عددا من البيوت القروية المتناثرة هنا وهناك على بعد حوالى خمسمائة متر. لم تعد إذن وحدها. . . مع أن حقيبتها الكبيرة سترهقها الى درجة كبيرة قبل تمكنها من الوصول الى أقرب تلك البيوت.

ربما كانت امها على حق عندما وصفتها بالانفعالية... وكذلك الرجل المتعجرف الذى اتهمها بانها متسرعة لا تعرف الصبر والأناة. الم يكن من الأفضل لها الآن مثلا أن تكون جالسة فى سيارة جون، تتحدث اليه عن مستقبلهما السعيد؟ طبعا... ولكن جون كان لا يعلم بوجودها هنا، لأنها تعمدت السفر الى مكان عمله بصورة مفاجئة.

وهذا ما سيحدث بالضبط! أين هى اذن المغامرة المثيرة التى تنتظرها منذ زمن طويل؟ رفعت رأسها بشموخ وشجاعة، وسارت نحو تلك القرية. أوه، يا لسعادتها بما سيحدث لاحقا! سيفاجأ جون بوصولها... وأكثر من ذلك بفستان العرس الذى تحمله فى كيسها. أوه، الفستان! قد يسقط المطر فى أية لحظة، ويتعرض الفستان للبلل. منحها خوفها على الفستان قوة جديدة فى رجليها المتعبتين وذراعيها المنهكتين، فأسرعت الخطى بعزيمة واصرار.

وصلت الى القرية خلال دقائق معدودة، وتوجهت فورا الى مبنى بدا وكأنه فندق صغير. وعندما فتحت الباب، وجدت البهو الضيق

خاليا. دقت جرسا قديما موجودا على طاولة خشبية مستطيلة، فظهر شاب فى العشرينات من عمره تبدو على وجهه ملامح البساطة والذهول. هز رأسه بمزيد من الدهشة والاستغراب، عندما سألته عن كيفية الانتقال الى حوض التماسيح. قال لها انه لا توجد قطارات من ستريمز الى تلك المنطقة. أو حتى سيارات اجرة.. فسألته بدهشة:

- ألا توجد سيارات ركاب كبيرة؟

- واحدة فقط، وتمر من هنا مرتين كل اسبوع... الثلاثاء والجمعة.

شعرت سالى باليأس والقنوط، وتساءلت بصوت حزين:

- كيف سأذهب اذن؟ رباه، ما هذه المشكلة!

- عليك الانتظار حتى يوم الجمعه

كيف ستنتظر يومين كاملين فى هذه البقعة النائية، وماذا ستفعل أثناء ذلك، هل تتصل بخطيبها وتخبره عن المأذق الذى تمر به؟ لن تكون المفاجأة المزدوجة كاملة، ولكن الاتصال به الآن هو الحل الوحيد.

فعادت وسألته:

- هل يمكننى اجراء مكالمة هاتفية مع المركز الرئيسى لمنطقة حوض التماسيح؟

- آسف، يا آنسة.

هزت رأسها وهى لا تصدق ما سمعته اذناها، ثم قالت له بلهفة وتأثر:

- أنا متأكدة من وجود مركز للهاتف هناك!

- صحيح، يا آنسة، ولكن العاصفة الهوجاء التى هبت قبل أيام قليلة قطعت جميع خطوط الاتصال الهاتفية.

- رباه! لكن هل ... هل لديكم غرفة خالية حتى يوم الجمعة؟

لا شك فى أنها بدت مرهقة وحزينة للغاية،وإلا فكيف تبرر مسارعة ذلك الشاب الكسول لحمل حقيبتها الى الغرفة الصغيرة المتواضعة التى ستقيم فيها... يومين كاملين!

استلقت على السرير الخشبى القديم، وأخذت تفكر بأفضل طريقة لتمضية هذه الفترة الطويلة. توجد معها فى حقيبتها رواية جميلة، ولكنها لن تساعدها إلا لساعات قليلة. فماذا ستفعل بعد ذلك؟

تذكرت أن عليها تعلم مواجهة الصعاب، وهذه هى تجربتها الأولى. ذهبت الى النافذة لتلقى نظرة على الخارج، فلاحظت أن السماء سوداء حزينة والبرق يلمع ويهدد بمطر غزير، والرياح تصفر وتعصف منذرة متوعدة. لن تغادر إذن الفندق الصغير هذا اليوم، ولكنها قد تذهب غدا الى أحد الجداول التى سميت المنطقة تيمنا بها... اذا كان الطقس ملائما.

وتساءلت فى نفسها:

ماذا ستفعل بقية النهار وفى السهرة؟ هل ستبقى فى غرفتها الضيقة حتى موعد العشاء؟ لا،ستنزل الى مطعم الفندق وتطلب شرابا ساخنا. أخذت حماما منعشا واستبدلت ثيابها، فشعرت بارتياح نفسى كبير شجعها على استخدام بعض مستحضرات التجميل التى تحملها فى حقيبتها. لن يراها أحد على الأرجح، سوى ذلك الشاب المسكين الذى لا يهمها ابدا كيف تبدو أمامه أو كيف ينظر اليها. ولكن سالى أوبريان لم تصل الى الثالثة والعشرين من عمرها قبل اختبار أمر بالغ الأهمية... وهو أن المرأة غالبا ما تشعر حسبما تبدو للآخرين.

انتهت من عملية التزين والتجميل، فأعجبتها النتيجة الى درجة

كبيرة وأحست بارتفاع محسوس فى معنوياتها. ابتسمت للصبية الحلوة التى تراها أمامها فى المرآة، ثم حيتها بمرح وسرور. وغادرت غرفتها. لكنها لم تجد احدا فى المطعم الصغير، الذى بدا نظيفا وفقير الأثاث كغرفتها، ولكنها وبالرغم من ذلك قررت البقاء فيه بعض الوقت... لأنه اكبر قليلا من غرفتها الضيقة.

لمحت مجموعة من المجلات القديمة على احدى الطاولات، واكتشفت بينها اثنتين فقط صادرتين خلال هذا العام. انشغلت بقراءة المجلات كلها، وببطء شديد، الى أن يحين موعد العشاء... أو يتحسن الطقس قليلا بحيث تتمكن من القيام بنزهة قصيرة فى الخارج.

اختارت احدى الطاولات القريبة من النافذة، وفتحت احدى المجلات. لاحظت فى صفحة المحتويات دراسة عن تربية الحيوانات ومعالجة أمراضها. فبدأت تقرأها باهتمام بالغ. هذه هى طبيعة عمل خطيبها وما سوف يحظى بجانب كبير من وقتها فى المستقبل القريب. انه يحب الحيوانات بشكل مذهل، وقد أحبت منذ بجون الاطلاع على كل ما يتعلق بهذه المخلوقات كى تتمكن من تمضية أطول وقت ممكن قرب جون والتحدث معه فى المواضيع التى يحبها ويفضلها. وفيما كانت غارقة فى قراءة تلك الدراسة التحليلية سمعت رجلا يسألها:

- هل تمانعين فى انضمامى اليك؟

رفعت رأسها نحو الرجل الواقف قربها. فحل الارتياح محل التوتر وتحول العبوس الى ابتسامة. فقد كان شابا وسيما بهى الطلعة، ذا عينين خضراوين جميلتين. قالت له مرحبة:

- اهلا وسهلا، تفضل. كنت على وشك الاقتناع بأننى النزيل الوحيد فى هذا المكان.

ابتسم لها ابتسامة جذابة ومهذبة، وهو يقول:

- لو حدث ذلك فعلا، لكان الأمر مؤسفا للغاية! سيبدأ النزلاء الآخرون بالوصول خلال فترة قصيرة، فهذا المكان مخصص تقريبا للجوالة.

لاحظ نظرة الاستغراب فى عينيها، فأوضح قائلا:

- أعنى الباعة الجائلين مثلى، اذ اننا نمضى الليل هنا قبل متابعة سفرنا الى أمكنة اخرى فى النهار . ماذا تشربين؟

- عصير الليمون، شكرا.

- هل أنت متأكدة من ذلك، أعنى انك فتاة كبيرة و... قاطعته قائلة بأدب وحزم:

- عصير الليمون.

رفع حاجبيه بصورة تدل على الدهشة والحيرة، ولكنه ابتسم أخيرا وقال:

- انثى قوية الشخصية وعنيدة... ولكنها جميلة، جميلة جدا!! هل من مجال لاقناعك بشىء آخر؟

ضايقها سؤاله واصراره، ولكنها أخفت انفعالها بابتسامة رقيقة عذبة وقالت:

- ألم تقل اننى قوية الشخصية وعنيدة؟

- وأنا أيضا لذلك أدعوكى لأن تخفضى من عنادك قليلا، أيتها الفتاة الجميلة فلدينا وقت طويل جدا حتى الصباح ويمكننا تمضيته فى اللهو والمرح.

حاولت سالى التصرف بهدوء ذكى بعيدا عن الانفعال والغضب، فقالت للشاب الذى يجلس قربها:

- شكرا على أية حال، ولكننى سأكتفى بكوب من عصير الليمون.

تأفف الشاب بصوت مرتفع نسبيا، وطلب لها كوبا من العصير ولنفسه شرابا لم تسمع من قبل. راقبته وهو يفرغ محتويات كوبه جرعة واحدة، وسألته بهدوء مميز:

- ماذا تبيع، يا سيد... أوه، اعتقد اننى إلى الآن لا أعرف اسمك.

أجابها مبتسما:

- كروجر. مارنى كروجر أنت سالى اوبريان. قرأت الاسم فى سجل النزلاء.

شعرت أنها بدأت تتضايق منه بصورة فعلية. ولكنها قررت عدم التسرع فى اعلان الحرب عليه. وإنما تحويل أفكاره الى أمور متعلقة به، فسألته مرة أخرى:

- ماذا تبيع، يا سيد كروجر؟

وضع ذراعه على كتفها، وقال:

- ثياب داخلية للنساء. هل تحبين القيام بدور عارضة أزياء أمامى، ولو مرة واحدة؟

أدهشتها إجابته الوقحة... كيف ستواجه هذا الشاب التافه، الغضب عارم، وطبيعتها الاندفاعية تطالبها برد سريع يناسب التصرف الرخيص الطائش. انها انسانة طيبة لا تحب الحاق الأذى بالآخرين، ولكنها تكره الاستفزاز والتحدى. نظرت اليه بعينين قاسيتين، وأجابت بصوت منخفض:

- دعنى وشأنى، يا سيد كروجر!! اتركنى من فضلك. اختفت

www.elromancia.com

الملامح البريئة من ابتسامته ونظراته، وتحولت الى نار ملتهبة. واستمر يضغط على كتفها وهو يقول:

- لا تمانعى كثيرا، يا سالى لتصورت أننا سنمضى معا ليلة لهو رائعة يا فتاتى الجميلة!

حاولت تحرير كتفها من قبضته، ولكن أصابعه غرزت بعنف فى مكانها. رفعت رأسها بغضب وعنفوان قائلة:

- ارفع يدك عنى، يا سيد كروجر، وإلا...

لكنه لم يبال.. بل أطبقت يده الأخرى على فمها بسرعة هائلة لمنعها من الصراخ،فيما كان ينظر اليها والشرر يتطاير من عينيه. عندئذ اختلط غضبها بالخوف والذعر... فمن سيهب لنجدتها حتى اذا تمكنت من الصراخ طلبا للنجدة؟ قد يسمى هذا المكان الصغير فندق الباعة الجائلين، ولكنه يبدو واضحا ان كروجر هو البائع الوحيد الذى ينزل فيه. هل يعقل أن يساعدها ذلك الموظف الهادىء، مجازفا باغضاب نزيل يعرفه منذ زمن طويل ويستفيد منه بصورة شخصية؟ لا، لن يفعل ذلك بالطبع وعليها بالتالى الاعتماد على نفسها ومواجهة الصعاب بالوسائل المتاحة لديها.

حصرت كل قوتها وحنقها فى أسنانها، وعضت تلك اليد القذرة بعنف ملىء بالخوف والغضب لم تحلم أبدا انها قادرة عليه، فصرخ الرجل من شدة الألم، وأبعد يده الجريحة عن فمها. استغلت تلك اللحظة المناسبة، وركضت نحو الباب بأقصى سرعتها. ولكنه كان أسرع منها، فامسك بها وأدارها نحوه بقسوة بالغة. يا لتلك النظرات السامة الحادقة!

رفع يده لينهال بها على وجه سالى الشاحب، ولن ذراعا ضخمة قوية انقضت فجأة على وجه المعتدى بلكمة عنيفة طرحته أرضا

وفجرت الدماء من شفتيه. بهت كروجر كمن أصابته صاعقة، واستعد للوقوف والمواجهة. ولكنه تسمر فى مكانه عندما شاهد وجها كأنه قد من صخر، ونظرات التهديد والوعيد تنطلق كالسهام القاتلة من عينين باردتين فولاذيتين. وفيما كان الرجل العملاق يرفع مارنى كروجر بيد واحدة، لاحظت سالى بذهول شديد أن منقذها لم يكن الا ذلك الرجل المتغطرس الذى اصطدمت به فى المحطة. قال كروجر لمهاجمه بلهجة تشتعل غضبا وانفعالا:

- ماذا تفعل، يا رجل؟

- امنع وقوع حادثة قبيحة.

تأمل كروجر يده الدامية وآثار أسنان سالى، التى لا تزال بادية بوضوح. وصرخ بحدة وهو يشير للرجل العملاق:

- اللعينة! التافهة! انظر كيف عضتنى بعنف وغل..؟!

هز الرجل القوى وقال:

- اياك أيها الأحمق من التمادى فى كلامك!

ثم أبعده عنه باحتقار، وأضاف قائلا:

- انا متأكد من انها اضطرت لذلك، نتيجة وتصرفاتك المشينة.

أحست سالى أن كروجر لن يرد بشىء، أو حتى أن يلجأ الى الكذب والافتراء، لأن الذراع الحديدية للرجل الآخر أفزعته وأرعبته. فتح فمه، وأغلقه ثانية، ثم نظر الى سالى بعصبية ظاهرة... وغادر القاعة الصغيرة.

- شكرا. انقذتنى من...

- من مصير أسوأ من الموت؟ لا، لم تعد الأمور سيئة الى هذه

الدرجة فى عصرنا الحالى. يمكنك القول أيتها الآنسة الرقيقة اننى انقذتك من مشكلة مزعجة.

أرادت الرد عليه بانفعال، ولكنها ترددت لحظة ثم قررت الامتناع كليا عن ذلك... اذ لم يكن لديها ذلك الوقت أى حليف سواه. قالت بهدوء:

- سمحت له بالجلوس معى، عندما طلب منى ذلك بتهذيب فائق. لم أكن لأتصور أبدا انه يفكر بأكثر من مجالستى ودعوتى الى مشاركته كوبا من العصير.

- لا توجهى اللوم إلا لنفسك.

هل قال لها حقا هذا الكلام السخيف، أم أنها تتخيل ذلك؟ نظرت اليه فرأت انه يتأملها بهدوء فيما تعلو شفتيه الجذابتين ابتسامة رقيقة. تذكرت تصرفه القاسى معها من قبل فى محطة القطار، فقالت بانفعال شديد:

- توحى كلماته هذه بأنك تعتبرنى فتاة سيئة السمعة!

ضحك بصوت مرتفع، وقال لها بلهجة هازئة:

- معظم اللواتى تتحدثين عنهن أكثر دهاء وحنكة منك. لا يا آنسة اوبريان، أنا لم أقصد الايحاء بذلك اطلاقا. ما قصدته بالضبط هو انك تعرضين نفسك لمواقف مزعجة وصعبة، لأنك لا تعيرين أى اهتمام على ما يبدو لكونك شابة رائعة الجمال، تسافر وحدها بدون رفيق. هل أنت فى الثامنة عشرة من عمرك؟

- عمرى ثلاث وعشرون سنة، يا سيد!

- اذن، أنت شابة متحضرة واعية! كنت اتصور أن فتاة بمثل سنك ستفكر أكثر من مرة قبل ارتداء ثياب السهرة والتبرج على هذا الشكل

لمجرد الجلوس فى مطعم فندق للباعة الجائلين... ما لم تكن مستعدة للتحرش والمغازلة، أو راغبة فيهما.

هل تصفعه على وجهه بالقوة ذاتها التى لكم بها الرجل الآخر؟

لا، يكفيها عنف هذا اليوم.رفعت وجهها نحوه بعزة وانفة، وقالت له بهدوء حازم:

- لن يتكرر هذا الأمر ثانية. سأتوجه الآن على الفور الى غرفتى.

- يجب عليك أولا تناول طعام العشاء، ما رأيك لو أكلنا معا؟

شعرت بشىء من الارتياح، لأن وجود رجل قوى الشخصية والبنية معها سيضمن لها عدم تحرش أحد بها. ولكن قد يفسر قبولها لدعوته بصورة خاطئة. لذلك قالت له:

- لست متأكدة من أننى أريد ذلك.

- وهل تفضلين اهتماما من نوع آخر، كالذى أبداه صديقك؟

نظرت اليه بتحد ، وسألته بشىء من الانفعال:

- وماذا يهمك من أمرى، أو بما سيحدث لى؟ ألم تقل بنفسك اننى المسؤولة عما جرى؟

أجابها بلهجة باردة وهادئة:

- لا يهمنى أمرك أبدا يا آنسة، ولكن صاحب الفندق صديقى واهتم بأمره. انه الآن فى المستشفى، ولن يكون سعيدا البتة اذا وقع فى فندقه حادث قبيح تنعكس نتائجه على سمعة الفندق.

ثم أمسك بذراعها، وأضاف قائلا:

- هيا، لننتقل الى مائدة الطعام.

www.elromancia.com

ازداد غضبها وحنقها بسبب هذا التعالى فى لهجته، التى لم تعرف لها مثيلا من قبل. ولكنها كانت مضطرة لتهدئة غضبها، ولو لهذه الفترة على الأقل، لأن كلامه كان يحمل الكثير من الصحة. فالحادثة التى وقعت مع البائع المتجول أزعجتها وأرعبتها ولم تعد بالتالى قادرة على تحمل المزيد من المضايقات أو المشاكل. ووجود رجل كهذا معها من شأنه منع وقوع حوادث مماثلة. مشت معه نحو الطاولة الكبيرة فازدادت اعجابا بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين... ورجولته الساحرة. ارتعش جسمها قليلا لمجرد التفكير بذلك، ولكنها سارعت الى السيطرة على أعصابها واستعادة رباطة جأشها. وقالت لنفسها انه رجل متعجرف قاس، ولن تدع سحره الجذاب ينسيها هذا الأمر.

على أية حال، هذه هى المرة الأخيرة التى ستراه فيها... فأين المشكلة! هزت رأسها بعصبية، وكأنها تحاول اقناع نفسها بطرده من أفكارها، ويبدو أن الرجل شعر بما يدور فى خاطرها.. فضحك.. ولم تسمع فى حياتها صوتا أكثر اغراء واثارة، لذلك الارتعاش يهز جسمها ويقلق بالها. سألته بصوت منخفض:

- هل فعلت شيئا يضحكك؟

- الى حد ما، فأنت على ما يبدو تستعدين لمواجهة هجوم آخر!

- وهل أنا على وشك التعرض لذلك؟

تأملها لحظة، فشعرت بسخافة سؤالها الذى ينم عن مدى خوفها وضعفها... وندمت على توجيهه فقد لمحت فى عينيه سخرية لاذعة وهو يقول:

- لن تتعرضى الى أى هجوم منى، يا عزيزتى، فأنا لا أهاجم الأطفال.

أثارها رده السخيف الذى لم تتوقعه، فقالت له بحدة بالغة:

- انا لست طفلة!

ضحك مرة اخرى وقال:

- حقا؟ ستقنعيننى بصحة ذلك عندما تتصرفين كشابة ناضجة راشدة. هيا، اجلسى.

لماذا يتحدث معها وكأنها طفلة صغيرة؟ ترددت سالى لحظة بين الرفض والقبول... بين الاعتراض والموافقة، لكنها قررت فى لتصرفاتها الصبيانية. جلست الى الطاولة ببطء وتمهل، وأمضت فترة طويلة فى دراسة قائمة الطعام التى لا تضم إلا طبقين رئيسيين وعددا قليلا من المقبلات. وعندما رفعت رأسها نحوه، لاحظت انه كان يتأملها بعينين ضاحكتين... فالقائمة القصيرة لا تحتاج إلا لنظرة واحدة. سألها عن أنواع الطعام التى سيطلبها لها، فقالت:

- طبعا، سأبدأ بالحساء ومن ثم... وتذكرت فجأة أنه نطق باسمها أكثر من مرة فسألته بدهشة:

ولكن.. كيف عرفت اسمى؟ من سجلات الفندق؟

- طبعا. أنت سالى اوبريان، وتقيمين هنا حتى يوم الجمعة. هل انت آنسة كما اتصور، ام انك تركت خاتم الزواج فى بيتك؟

ردت عليه بكل حدة ومرارة:

- أنا مخطوبة لرجل لا يعتبرنى طفلة. ولأننى لم ازعج نفسى بقراءة أسماء النزلاء فى هذا الفندق، فهل لى...

- اندريه كونورز

أبلغ الخادم عما يريدانه، ثم مضى الى القول:

- ألا يعترض خطيبك على سفرك بمفردك فى مثل هذه المناطق النائية؟

تساءلت:

لماذا يصر على معاملتها كطفلة؟ ستواجهه بسلاحه المفضل... السخرية.لوجهت له ابتسامة عريضة، وقالت:

- انه لا يعترض أبدا على تصرفاتى، وأنا الآن فى طريقى اليه لكى... نتزوج.

- مبروك، لا تنسى الحساء!

نظرت الى طبقها بانزعاج كبير، لأن أفكارها تحولت فجأة الى جون... والى هذا التأخير السخيف الذى يقض مضجعها ويحز فى نفسها. كان من المفترض الآن أن تصل الى مزرعة خطيبها لإعداد خطة الزواج معا، ولكن الظروف القاسية أرغمتها على الجلوس مع رجل غريب تحرك رجولته الفذة فى نفسها مشاعر لم تعرف مثلها فى أى وقت سابق. رفعت رأسها نحوه، فرأته ينظر اليها بطريقة لم تفهم معناها أو تتمكن من تحليل أهدافها. ازداد توتر أعصابها... انه ليس وسيما من الناحية التقليدية المتعارف عليها، ولكن ملامحه تجمع بين القساوة والاغراء... بين الوحشية والجاذبية. ارتعش جسمها للمرة الثالثة، و لأنها سمحت لشخصيته بالتأثير عليها... بتلك الطريقة الغريبة. تظاهرت بالابتسام غصبا عنها وسألته بهدوء:

- هل تعرف منطقة تسمى حوض التماسيح، يا سيد كونورز؟

- نعم اعرفها جيدا.

- حقا؟ هل تعمل هناك؟

- فى منطقة مجاورة.

أحست بمشاعر الفرح والاطمئنان وسألته:

- وهل أنت فى طريقك الى مكان عملك؟

هز رأسه ايجابا، فكتمت أنفاسها وسألته بصوت منخفض الى حد ما:

- الليلة؟

- لا، غدا.

نسيت خوفها منه واشمئزازها من تعجرفه، فقالت بارتياح بالغ:

- عظيم! لن احتاج اذن للانتظار حتى يوم الجمعة. يمكننى الذهاب معك و...

- لن تذهبى معى الى أى مكان.

صدمتها إجابته وأخذتها الدهشة وسألته فى نبرة مليئة بالقلق:

- ولكن ... ولكنك قلت انك ذاهبة الى منطقة مجاورة و... توقفت عن اتمام جملتها بعد حلول الارتباك محل اللهفة والسرور، ثم قالت له بهدوء:

- هل تعنى اننى غير قادرة على مرافقتك؟

- إنك تسألينني بلا توقف.. والآن حان دورى لتوجيه الأسئلة. لماذا تريدين الذهاب الى حوض التماسيح؟

- لدى سبب لا يهمك.

- انت التى تطلبين المساعدة، يا آنسة.

- انا فى طريقى للقاء خطيبى. جون لانج .

- أوه.جون لانج..؟

- هل تعرفه..؟

www.elromancia.com

- طبعا.

- لا شك فى انه... أخبرك عنى.

- لا أذكر شيئا من هذا القبيل.

لم تعد قادرة على تحمل برود أعصابه أكثر من ذلك، فقالت له بلهجة حازمة:

- ليس ذلك مستغربا بالنسبة لى، فخطبتى لا يتحدث عن شؤونه الخاصة لكل غريب يلقاه ولا حتى لزملائه فى العمل.

- انه رجل حكيم.

سألته مرة أخرى عما اذا كان يمكنها الذهاب معه الى منطقته القريبة من حوض التماسيح، فقال لها بغير اهتمام:

- ألم تسمعى جوابى قبل قليل..؟

- بلى، ولكننى أريد الذهاب بأسرع وقت ممكن. سيشكرك جون كثيرا اذا أخذتنى اليه.

- لا، ولكن...

- تصورت ذلك، والا لكان قد ذكر شيئا عن أمر بالغ الأهمية... كوصول زوجة المستقبل.

- أردت مفاجأته. عندما تأكد لى اضطرارى للانتظار حتى بعد غد، قررت الاتصال بمنطقة حوض التماسيح... ولكن خطوط الهاتف مقطوعة بسبب العاصفة.

- اقترح عليك العودة الى مدينتك، يا آنسة اوبريان.

- استغرب هذا الاقتراح، يا سيد كونورز، واؤكد لك بأننى لا

أستسلم بسهولة، وان لم أتمكن من ايجاد أى وسيلة نقل أخرى الى حوض التماسيح، فسوف انتظر حتى بعد غد لاستقل سيارة الركاب الكبيرة التى ستمر من هنا.

- كما تشائين.

أخذ اندريه يلتهم طعامه صامتا و بأعصاب هادئة، فيما كانت سالى تشتعل غيظا وحنقا.

ولكن... لماذا تعود الى تأمل قامته وثيابه ويديه، وتجد فيها جميعا جاذبية وسحرا؟ إنها تكره صفاته وتصرفاته كلها، فكيف تسمح لنفسها بتخيل تفاصيل تتعلق به؟ انها تنفر منه، ومع ذلك فهو يجذبها اليه...

صممت على أكل طعامها وعدم التفكير به، ولكنها لم تتمكن إلا من توجيه السؤال التالى اليه:

- لماذا أنت غامض هكذا و تصر على الرفض، يا سيد كونورز؟

- تصورت أننا انتهينا من هذا الموضوع.

- هل تعتقد أن الرحلة قد تكون قاسية بالنسبة إلى؟ أنا لست فتاة رقيقة مترفة لا تعرف النوم إلا على أسرة من الحرير.

- حقا؟ هل هذه هى دعوة لى لاختبار نعومة سريرك، كى أثبت هذه النقطة بنفسى؟

حسبت الاهانة أنفاسها لحظة، قالت له بعدها بحدة بالغة:

- كيف تجرؤ على التفوه بمثل هذا الكلام يا سيد كونورز؟

- لن أسكت على هذه الإهانة وسوف اطلع جون عندما أراه بكل ما قلته لى.

www.elromancia.com

- وهل تتصورين أنه سيشعر بغضب عارم. انضجى قليلا يا صغيرتى!

صغيرتى؟ يا للوقاحة لها هو يتحدث معها ثانية كأنها تلميذة صغيرة، بريئة، وغبية!

احست برغبة قوية فى توجيه صفعة الى وجهه ليعرف هذا اللعين مع من يتعامل!

بذلت جهودا مضنية للسيطرة على أعصابها، ومنع كفها المتحفز من التحرك باتجاه وجهه. يكفيها ما حصل معها هذا اليوم من صعاب وأزمات، وتكفيها عداوة رجل واحد مثل البائع المتجول القذر مارنى كروجر. سيأتى يوم، وفى المستقبل القريب عندما ستقول للسيد اندريه كونورز رأيها الصريح فيه!

لم يتصرف معها أحد غيره من قبل بمثل هذه الغطرسة والوقاحة، ولم تضطر مرة واحدة فى حياتها الى الرضوخ والاستسلام لأوضاع مريرة كالتى يفرضها عليها هذا الرجل المتعجرف... تبا لهذه الظروف التى ترغمها على ذلك، وتريك مشاعرها فى الوقت ذاته!

احمر وجهها ثم شحب لونه، عندما نظرت اليه وشاهدت ذلك السحر القاتل فى عينيه. وشعرت فى تلك اللحظة انها لن تقدر على مواجهة نظراته الحادة، وانها هى التى ستضطر لابعاد نظرها عنه.

تملكها شعور بالضعف أمامه.. وأخذ هذا الشعور الجديد يتكثف ويتضخم للدرجة التى أزعجتها.. لذلك وضعت السكين والشوكة على الطاولة بعصبية بالغة، ثم توجهت بسرعة الى غرفتها. تأملها اندريه كونورز بهدوء مزعج، بدون أن يتحرك من مكانه أو يتفوه بكلمة واحدة. لم يحاول بذل أى جهد للاعتذار أو ... لمطالبتها بالبقاء معه. ظل وجهه جامدا كالصخر، وكأنه يقول لها... خيرا ما فعلت.

٢- وحدهما فى شاحنة

بدت غرفتها الحقيرة بالفندق أصغر مما كانت عليه، وبدت السماء فى ذلك اليوم اكثر عبوسا وغضبا. لم تتوقف العاصفة أو تخف، ومع ذلك قررت سالى الخروج مرة أخرى من تلك الغرفة الضيقة التى تثير فى نفسها المتعبة المزيد من الحزن والانقباض.

سرها كثيرا كثيرا انها لم تشاهد اندريه كونورز فى بهو الفندق أو خارجه، فأعصابها لم تعد قادرة على تحمل مجابهة ثانية معه. ركضت الى الحقول المجاورة، لعلها تجد بعض السلوى والعزاء بين اشجارها وازهارها. ولكن الرياح توقفت فجأة. فاصبح الجو خانقا كما فى غرفتها. لم تعد ترى اغصانا تتحرك وأشجار تتمايل. حيث خيم هدوء مرعب على المنطقة... فما من كلب ينبح أو عصفور يغرد، وكأن الطبيعة الصامتة تنتظر هبوب عاصفة اخرى.

احست ببضع قطرات من المطر تسقط على رأسها ووجهها، فقررت العودة الى الفندق قبل هطول المطر بغزارة. ولدى اقترابها من المدخل الخلفى، شاهدت مجموعة قليلة من العربات بينهما شاحنة وسيارة نقل متوسطة الحجم، لا شك فى ان إحداها تخص ذلك البائع الحقير مارنى كروجر.

تذكرت فورا الحادثة المشؤومة، وكيف أنقذها منه المتغطرس الآخر اندريه كونورز. الذى يجب ان تشعر نحوه بالامتنان ولكن تصرفاته السيئة قللت كثيرا من أهمية الخطوة الرائعة التى أقدم عليها. وفجأة، خطرت ببالها فكرة ازعجتها الى حد بعيد! هل تصور كونورز أنها تعمدت تشجيع كروجر على مغازلتها ومهاجمتها؟ هل هذا هو سبب اقتراحه لها بالعودة الى بيتها؟ هل اراد حماية جون منها؟ سخرت من هذه الافكار السخيفة وضحكت بصوت مرتفع، فشعرت على الفور بتحسن كبير فى معنوياتها. هذان اليومان سيمضيان بخير وستذهب الجمعة الى حوض التماسيح... لتتزوج خطيبها.

واصلت طريقها نحو المدخل الخلفى، ولكن حركة ما لفتت انتباهها وحملتها على التوقف مرة اخرى. وما ان استدار الرجل الذى شاهدته منحنيا بين مقود الشاحنة ومقعدها، حتى لاحظت انه هو.. اندريه كونورز. لم ينتبه لوجودها على بعد خطوات قليلة، وعاد فورا الى الفندق. شعرت سالى بالغضب تجاهه، لأنه يملك شاحنة ضخمة الى هذه الدرجة ويرفض مع ذلك أخذها معه.

مضت الساعات ببطء شديد، وكأن الساعة الواحدة توازى نهارا بكامله. حتى الرواية التى اختارتها بسرعة قبل ركوبها القطار، بدت سخيفة ومملة. تساءلت بجدية وموضوعية عما اذا كانت قد أخطأت عندما قررت القيام برحلة طويلة ومرهقة كهذه بدون الاعداد لها مسبقا بطريقة هادئة ومتزنة ! ولكنها لم تكن لتتصور أبدا أن الجزء الثانى من الرحلة سيكون بمثل هذه الصعوبة! سخرت من قبل لمجرد قلق والديها عليها، إلا انها بدأت تشعر انهما ربما كانا على حق فى مخاوفهما. هل كانت متسرعة ومتهورة فى قرارها؟ الم يكن من الافضل ابلاغ جون عن موعد وصولها الى ستريمز.

وضعت الكتاب جانبا، لأنها لم تكن قادرة على القراءة او التركيز بينما كان المطر ينهمر فى الخارج، فهل من اى شىء آخر يمكنها القيام به الا النوم باكرا؟ خلعت ثيابها وارتدت قميص النوم، ولكن افكارها قررت على ما يبدو حرمانها من الراحة و النوم... اذ انها عادت فجأة للتفكير باندريه كونورز. ماذا يفعل الآن ياترى؟ هل يتحدث مع مارنى كروجر باستهجان عنها، وعن تصرفاتها السخيفة؟ لا، فليس ذلك من طبيعته. قد يكون سيئا ولكن الثرثرة التافهة ليست بالتأكيد احدى سيئاته. انه يقرأ او يكتب رسالة، او ربما يغط فى نوم عميق!

تخيلته نائما تحت غطاء رقيق، والشعيرات السوداء تغطى صدره العارى العريض وعضلاته المفتولة القوية! مهلا، أيتها الافكار اللعينة! لا يحق لك الانجراف الى هذه الدرجة وراء رجل لا مكان له فى حياتى... إنه رجل عنيف قاس يثير الاشمئزاز والازدراء! انا ذاهبة الى حوض التماسيح... الى جون ... الى خطيبى، الذى سأتزوجه خلال ايام معدودة. اوه! لم تتساءل مرة واحدة عن المكان الذى ستقيم فيه لحين زواجها منه! لا بأس، فهذه مشكلة بسيطة جدا بالنسبة لجون وسوف يجد لها، كعادته حلا فوريا ومناسبا.

عادت بها الذكريات الى ايام طفولتها، حيث كان جون دائما يمثل جزءا هاما من حياتها. لم يكن لديها اخ، لذلك قام هو بهذه المهمة على خير وجه. لم يكن صديقا عاديا فحسب، بل الاقرب والافضل اقام صداقات عديدة طوال سنوات المراهقة، ولكن صديقاتها كبرن مثلها وذهب كل فى طريقه. تضاءلت الرسائل والاتصالات الهاتفية تدريجيا الى ان اخذت تقتصر على بطاقة معايدة او مكالمات نادرة وفقا للظروف. واليوم، اصبحت اسما صديقاتها ووجوههن صورا باهتة متشابكة يصعب تذكرها أو حتى التفريق بينها.

ولكن صداقة جون ظلت مستمرة قوية دائما وثابتة... لم تتعثر يوما او تخف او تزول. بدأت صداقتها عندما ابتاع والده بيتا مجاورا. كانت امه تعمل طوال النهار، فوجد الصبى الصغير الوحيد العزاء والسلوى فى بيت جارته سالى. جذبه الدفء و الحنان، اللذان كان يشعر بهما فى بيتها. وعلى الرغم من السنوات الاربع التى تفصل بينهما، فقد توطدت علاقتهما منذ البداية... واستمرت قوية طوال الأعوام التالية لا تشوبها شائبة أو تعكر صفوها أية أحداث أو تطورات.

أحبت شجاعته واندفاعه، عندما كان يهب للدفاع عنها بمجرد تعرضها لأية مشاكل أو مضايقات من بعض الطلبة الآخرين. دأبت على اللحاق به، كيفما تحرك والى حيثما ذهب، ولم تأبه لثرثرة الحاسدين ولكن اسعد اوقاتهما كانت تلك التى امضياها معا على انفراد، فى الحقول والبرارى ومع العصافير والحيوانات، فعرفت من خلاله الكثير عن هذه المخلوقات، وكان يشرح لها باستمرار كيف يبنى العصفور عشه ويربى صغاره، وكيف يجمع النمل طعامه فى الصيف ويخزنه للشتاء. تعلمت الكثير عن حياة الحيوان وعاداته، وحاولت دائما الاصغاء جيدا وتنفيذ كافة تعليماته وتوصياته.

باح لها بسر أحلامه المستقبلية، وبرغبته القوية لدراسة الطب البيطرى ثم قرر فى وقت لاحق انه سيسعى جاهدا ليدافع قدر الامكان عن الحيوانات البرية ويمنع صيدها. وكبر جون وتبدل وتغير إلا ان الصفة الوحيدة التى لا تزال تلازمه حتى الآن هى حبه للحيوان وبما انها كانت ترغب دائما فى التحدث معه حول الموضوع الذى يستهويه اكثر من شىء آخر، فقد قرأت سالى عشرات الكتب والمجلات الخاصة بالحيوانات.

تخرج جون من الجامعة وأصبح طبيبا بيطريا. وعمل لبعض الوقت

كمساعد لأحد أشهر المتخصصين فى هذا الحقل. كان يتمتع بعمله الى درجة كبيرة وكان حلمه الكبير الذى يراوده منذ صغره لم يتركه أو ينساه.. لذلك استقال من وظيفته قبل عام تقريبا، عندما سنحت له فرصة للعمل كمشرف على منطقة للحيوانات البرية التى يمنع صيدها.

كانا مخطوبان آنذاك، فطلبت مرافقته الى عمله بمنطقة حوض التماسيح. قال لها ان ذهابها معه منذ البداية أمر صعب. وعندما يستقر فى عمله ويتأكد من مستقبله، سيأخذ اجازة لمدة اسبوع ويعود الى المدينة لكى يتزوجها بحضور الأهل والاصدقاء. قبلت اقتراحه على مضض، لأن الفراق مؤقت ولن يطول وأن اموره ستستقر قريبا، ويعود اليها ليتزوجها ويعيشا معا حياة سعيدة.

كانت تمضى نهارها فى مدرسة مجاورة، حيث تعلم الاطفال، ثم تعود الى البيت لتساعد امها وتعد ثوب العرس... وتحلم بالرسالة التى ستصلها فى اليوم التالى.

كانت رسائله تصلها باستمرار، رسالة أو اثنين كا أسبوع، مشبعة بالاخبار والتفاصيل ومفعمة بالأشواق والحب واللهفة. كتب لها عن سعادته الفائقة فى تحقيق حلمه القديم... فى حراسة الحيوانات البرية التى تمنحها الطبيعة فى تلك المنطقة أهمية تفوق اهمية الانسان.

ولكن عدد رسائله بدأ ينخفض تدريجيا فى الاشهر الأخيرة، بحيث اصبحت تصلها رسالة واحدة كل عشرة أيام او اسبوعين. لم يقلقها انخفاض العدد ، بقدر ما أقلقتها امور اخرى. لم يتذمر جون ابدا من عمله او الاضواع الحياتية فى تلك المنطقة النائية، وظلت رسائله مليئة كالعادة بالأخبار و القصص. ولكن سالى قرأت بين السطور عن انخفاض جذرى فى حرارة حماسته وشوقه. سألته فى رسالة عاجلة عما اذا كان مريضا، فنفى ذلك بشدة قائلا انه بصحة جيدة. أليس

محتملا انه مريض فعلا ولكنه لا يريد إزعاجها؟ فى اى حال، ان لم يكن المرض فثمة امر آخر بالتأكيد يعذبه ويحزنه... وعليها بالتالى مشاطرة احزانه ومشاكله، ومساعدته ماديا ومعنويا. لذلك قررت السفر اليه حالا، فهى لم تعد قادرة على تحمل مرارة الانتظار... وهو بالتأكيد سيفرح كثيرا بوصولها المفاجىء.

تقلبت أفكار سالى وهى فى سريرها الصغير، عندما انتبهت فجأة الى انه لم يعرض عليها ابدا فكرة الزواج منه. تولدت لديهما تلك الفكرة مع مرور الزمن، وأصبحت امرا مفروغا منه. احبت جون اكثر من اى شخص آخر فى العالم، باستثناء والديها، وكانت تعلم انه يبادلها هذا الحب. اهميته بالنسبة لها ولحياتها كأهمية القلب بالنسبة للكائن الحى وحياتهما معا ستكون مليئة بالحب والحنان والراحة والطمأنينة.

عقدت جبينها فجأة وتململت فى فراشها، فهذه هى المرة الاولى التى تفكر فيها بمشاعرها الرقيقة الصافية تجاه جون... هل يعقل ان السبب فى ذلك هو تفكيرها شبه المتواصل بذلك المتغطرس اللعين اندريه كونورز؟ أراحها هذا السؤال قليلا، لأن مجرد توجيهه الى نفسها أضاف بعدا جديدا وراسخا الى اشمئزازها من هذا الرجل.. وكرهها له.

لا شك فى أن الارتباك الشديد الذى تتخبط فيه، كان ناجما عن الاحداث المؤسفة التى واجهتها هذا اليوم. لم يتم شىء مما توقعته، لا بل انها فوجئت بأمور كثيرة لم تكن تتوقع حدوثها. اتعبتها مقابلة كونورز مرتين فى يوم واحد، اكثر من هذا التوقف إجباري فى ستريمز... وحتى من تلك المجابهة المرعبة مع مارنى كروجر!

أدركت أنها لن تتمكن من النوم هذه الليلة، إلا اذا أراحت اعصابها وافكارها القلقة والمتعبة. آه، لو كان جون معها الآن ليعيد اليها، كعادته،

الطمأنينة وراحة البال!ولكنه موجود فى منطقة حوض التماسيح فماذا ستفعل؟ ستتخيله معها... سترسم له صورة فى عقلها وقلبها وتستعيد صوته العذب الرقيق!

لاحظت بأسى عميق مدى صعوبة هذه المهمة، فالفراق لمدة طويلة والتحول فى رسائله، تركا اثرا واضحا فى نفسها. ولكنها صممت على المثابرة والنجاح، وما هى الا لحظات وجيزة حتى بدأت ملامحه الطيبة المحببة تبرز شيئا فشيئا فى مخيلتها... الى أن اكتملت صورة الرجل الذى تحبه منذ طفولتها . احست بالارتياح والأمان لوجوده معها حتى على هذا الشكل الخيالى، ولكنها وجدت صعوبة بالغة فى الاحتفاظ به ، حاولت جاهدة ابعاد صورة كونورز التى بدأت تتسلل بقوة الى افكارها، تدك الحصون وتقتحم الاسوار. أفزعتها الابتسامة الساخرة وأرعبها الفم الجذاب فقاومت الصورة المعتدية بضراوة وشراسة. ولأنها كانت مرهقة الجسم والتفكير، انهارت دفاعاتها المستميتة بسرعة مذهلة... وحلت صورة الوجه البرونزى القاسى لكونورز.. والعينين الباردتين الخبيثتين محل صورة الخطيب البعيد.

استيقظت سالى مبلبلة الفكر صباح الخميس، فتبين لها ان السماء لم تعد ماطرة مع انها لا تزال ملبدة بالغيوم. ارتعش جسمها من البرد عندما سارت حافية القدمين نحو النافذة، فكادت تقنع نفسها بالعودة الى فراشها الدافىء... وخاصة وأن الساعة كانت تقترب من السادسة والربع. ولكن الغرفة باردة، والنوم لم يعد واردا، فما عليها اذن الا القيام بنزهة قصيرة حتى يحين موعد الفطور. استحمت على عجل وارتدت سروالا ضيقا أزرق اللون وقميصا مناسبا، ثم توجهت من الفندق الى المكان عينه الذى قصدته فى اليوم السابق.

ضايقتها الارض الموحلة الى درجة كبيرة، فقررت العودة الى الفندق

الصغير. كانت الساحة شبه فارغة، وبدا ان معظم الباعة غادروا منطقة الجداول... ستريمز. لم تلاحظ فى تلك الساحة إلا عربتين... احداهما شاحنة اندريه كونورز. حاولت فتح البابين، فوجدتهما مقفلين. صعدت الى ظهر الشاحنة، وشاهدت الغطاء السميك الذى وضعه كونورز لحماية بضاعته من البلل. اللعين!انه يفكر بكل شيء ويتصرف بحنكة وذكاء!

خطرت ببالها فجأة فكرة مذهلة... وقررت تنفيذها. ماذا سيفعل معها السيد كونورز عندما سيكتشف وجودها لدى وصوله الى مكان عمله القريب من حوض التماسيح؟ تراجعت بضع خطوات عن الشاحنة بمجرد تصورها مدى غضبه وانفعاله، ولكنها سوف تتسلل من تحت الغطاء بخفة ورشاقة... بدون معرفته. وبعد ذلك، ستجد طريقها الى حوض التماسيح. هل هى مغامرة خطرة؟ لا أبدا!فكل ما فى الأمر، اذا اكتشف أمر وجودها فى شاحنته، انه لاأبدا! فكل ما فى الأمر، اذا اكتشف أمر وجودها فى شاحنته، انه سيصرخ غاضبا... وقد يشتمها أو يوجه اليها كلمات قاسية!

ليفعل ذلك، فلن يهمها هذا الامر او تبالى به. هرعت مسرعة الى غرفتها لجمع امتعتها والعودة الى الشاحنة، والاختباء تحت الغطاء السميك. لن تضطر، لحسن الحظ، الى انتظار الموظف المسؤول عن الفندق لتدفع له ثمن إقامتها بالفندق... فالمبلغ الذى اعطته اياه امس يكفى اقامتها لمدة يومين. وعلى ذلك حملت حقيبتها وكيسها وعلبة الحلوى،وسارت بخطى سريعة نحو الشاحنة. ماذا لو شاهدها كونورز أو أى شخص آخر تتسلل مع اغراضها الى الشاحنة؟ كانت الساحة مهجورة تماما، فنفذت مغامرتها الخطرة بنجاح باهر... على الرغم من توتر اعصابها الشديد وانفعالها المحرج.

لم تشعر بالطمأنينة وراحة البال، إلا عندما سمعت صوت المحرك وأحست بتحرك الشاحنة، نجحت فى الامتحان الأكثر صعوبة وخطورة، فبدأت تفكر بأفضل وسيلة تمكنها من الوصول بأقل قدر من التعب والارهاق. وضعت الكيس الذى يضم فستان العرس كوسادة تحت رأسها، وضمت علبة الحلوى الى صدرها كيلا تتدحرج هنا وهناك وتفقد محتوياتها الثمينة. اما الحقيبة الكبيرة، فقد ابقتها الزاوية القريبة منها لئلا يلاحظ كونورز وجودها... فى حال توقفه والقاء نظرة على حمولة شاحنته.

ماذا سيقول جون أو والدها، فيما اذا شاهدوها على تلك الحالة أو علموا بما قامت به؟ من المؤكد أن والدتها ستصاب بالذعر والهلع، ووالدها سيضحك حتى يستلقى على ظهره ، اما جون، فسوف يكون رد فعله مزيجا من هذين الشعورين... سيشعر بالانقباض والاسى لأنها واجهت جميع هذه المصاعب وحدها من اجله، ولكنه سيعجب ايضا بقدرتها وشجاعتها. ابتسمت بارتياح عندما تصورت نفسها جالسة قرب المدفأة، تخبر حفيدتها الصغيرة عن المغامرة الشيقة التى قامت بها الجدة للزواج من الجد العزيز.

احست بالنعاس يدغدغ عينيها فى تلك الظلمة الحالكة والجو الدافىء، ولكنها قررت البقاء مستيقظة.ز ومتحفزة للنزول بأسرع وقت ممكن. إلا انها لم تتمكن من الصمود طويلا، فما هى الا دقائق معدودة حتى وجدت نفسها غارقة فى النوم.

فتحت عينيها فجأة، فازعجها ضوء الشمس. اين هى الآن، ولماذا يؤلمها ظهرها وتتدلى رجلاها على هذا الشكل؟ اغمضت العينين المثقلتين بالنعاس ثم فتحتهما بسرعة، لتواجه بنظرات ساحرة هازئة

وابتسامة رقيقة من كونورز. انتبهت الى وجودها بين ذراعية القويتين، والى التصاق وجهها بصدره الدافئ المشعر.. عندئذ اندفعت الدماء بقوة الى وجنتيها فزادتهما احمرارا، وتسارعت ضربات قلبها حتى أصبحت كمحرك سيارة أو قرع طبول. حاولت القفز الى الارض، ولكنه ضغط عليها بقوة وافشل محاولاتها فقالت:

- انزلنى فورا.

- سانزلك عندما أريد.

ارتعش جسمها خوفا بسبب تلك البرة المميزة فى جملته القصيرة الجافة، وادركت انها تواجه مأزقا جديدا لا تعرف كيف ستتخلص منه. ابعدت نظراتها عن عينيه وتطلعت حولها، فلم تشاهد شيئا الا الاشجار والاعشاب. انها وحدها مع هذا الرجل القوى، وفى منطقة نائية معزولة قد لا يكون فيها اى انسان آخر على الاطلاق! افزعتها نظراته وارعبتها ولكنها قررت الا تدعه يعرف مدى خوفها وذعرها.

قالت له بلهجة حازمة وصارمة:

- اكرر طلبى لك بانزالى فورا!

اجابها بصوت ساخر مهين، زاد من مخاوفها واحمرار وجهها:

-لا يحق للمتسللين ابدا اصدار الأوامر.

جف لعابها فى فمها، ولكنها تظاهرت بالقوة والشجاعة وقالت له بحدة وانفعال:

- ثمة متسلل واحد، هو انا، يحق له ذلك.

ضحك الرجل بصوت منخفض يضج سحرا وبشاشة، فاحست بانفاسه تداعب خديها واذنيها.

قال لها:

- انت مخطئة فى تقديرك للأمور يا آنستى، لأن تسللك إلى شاحنتى جعلك رهينة بين يدى وسوف تلقين العقاب الذى اقرره.

فتحت فمها لتصرخ بوجهه، قائلة انه رجل متعجرف قاس، ولكنه اسكتها بقوة وعنف لم تتصورهما من قبل... حتى فى الاحلام المزعجة. انذرها عقلها بوجوب التخلص منه والابتعاد عنه بأسرع وقت ممكن، فاشبعت صدره ورأسه ضربا ولكما. لكنه لم يتأثر بضرباتها الضعيفة المتلاحقة ولم يأبه لمحاولاتها اليائسة واكتفى بتشديد الضغط عليها حتى كاد يحبس انفاسها.

رفع رأسه فجأة عنها، وراح يتأمل بعينين قاسيتين باردتين احمرار وجهها وارتعاش فمها... ونظرات الخوف الحيرة والارتباك فى عينيها الزرقاوين. سحب ذراعه التى يضعها تحت ركبتيها، وقال لها بلهجة قوية جافة:

- الآن... يمكنك النزول.

مارست جهودا نفسية جبارة لتتمكن من الوقوف على قدميها، فوقوعها على الارض من أعلى الشاحنة، او اضطرارها للاستعانة به فى النزول سيزيدان من اضعاف موقفها امامه. نظرت اليه ثم ابعدت وجهها بسرعة، وهى تغمض عينيها لاخفاء دموعها. فمع ان تصرفه الوحشى لم يكن الا قصاصا، فقد اذهلها ذلك الشعور الذى احست به اثناء وجودها بين ذراعيه. قالت له هامسة.

- انا... انا آسفة... على هذا الخطأ الذى ارتكبته.

اجابها بشىء من الحدة الجافة:

www.elromancia.com

- تأخرت قليلا لتقديم الاعتذار.

أرغمتها جملته ولهجته الباردتان على التراجع عن إظهار الندم الذى شعرت به قبل لحظات وجيزة، فمسحت دموعها بسرعة ثم رفعت رأسها بتحد وقالت:

- هل كانت خطوتى غلطة كبرى؟

تأمل جسمها الجميل من قمة رأسها حتى اخمص قدميها، وقال لها بهدوء مزعج:

- سأعدك تجيبين على هذا السؤال بنفسك.

- لقد رفضت أن أركب معك عندما طلبت منك...

- فقررت التسلل، بغض النظر عن المضاعفات والعواقب. هل تقدمين دائما على كل خطوة تريدين تحقيقها؟

- لن تسمح لهذا الرجل المتغطرس بمعاملتها كطالبة صغيرة، لا تعرف شيئا عن الحياة. ابتسمت بمكر، وقالت له بلهجة التكبر والتعالى:

- نعم، عندما أشعر بأننى على حق.

تبدلت ملامحه الى حد ما، وقال:

- كنت على يقين ليلة أمس من اننى اقدم خدمة كبيرة لجون برفض احضارك معى.

سألته بصوت هادىء:

- لماذا تكرهنى الى هذه الدرجة؟

هز كتفيه بكثير من اللامبالاة، وقال:

- اكرهك؟ هذا اطراء لنفسك، يا آنسة اوبريان فالكراهية شعور

معين بحاجة لنسبة ما من الحماسة والاندفاع. انا لا أكرهك.

اصابت سهامه الهدف، فبرقت اسنانه البيضاء خبثا ودهاء،واضاف قائلا:

- لنقل فقط اننى لا أحبذ رؤية حياة شاب طيب تتحطم على صخرة العذاب والالم.

اشتعلت سالى غضبا، وصرخت بوجهه قائلة:

- هل تعتقد سيد كونورز اننى شجعت ذلك الشاب الاحمق امس؟ هل تعتبرنى انسانة غير عفيفة.

نظر اليها بعينيه الفولاذيتين، وقال:

- لا اعتقد انك افضل من بنات جنسك يا آنسة اوبريان. فالمرأة عادة تستغل الرجل لتحقيق مآربها.

توقفت برهة، فتساءلت عما حدث لهذا الرجل حتى اصبح يكره النساء ويحتقرهن. مضى الى القول:

- اما بالنسبة الى خطيبك جون، فاعتقد انه لا مكان فى حياته لفتاة صغيرة عنيدة مثلك.

حبست انفاسها لشدة انشغالها وتأثرها، ولكنها مارست ضبط النفس الى اكبر درجة ممكنة كيلا تتعرض الى المزيد من اهاناته وسخريته القاسية. وأيقنت أن ان الصمت بكرامة سلاح اكثر فاعلية وتأثيرا من الانتقام الكلامى.

استدارت نحو الشاحنة، ومشت اليها بشموخ وانفة. وعندما حملت حقيبتها فى يد وثوب الزفاف فى اليد الاخرى، سمعت صوتا يقول:

www.elromancia.com

- العذراء الغاضبة تجمع امتعتها!

قالت وهى تكبت غضبها:

- الم يكن هذا ما اردته انت، يا سيد كونورز؟

- يبدو ان الامور التى اريدها لم تعد ذات اهمية تذكر.

حملت سالى القطع الثلاث، وبدأت تسير بعيدا عن الشاحنة. هز الرجل رأسه باستخفاف، وقال لها:

- لكن الى اين، ستذهبين يا انسة؟

- سأعود الى الفندق وانتظر حتى الغد، لكى اتوجه الى حوض التماسيح.

- اشك فى ذلك. فانت لا تعرفين على الاطلاق أين نحن الآن، يا آنسة اوبريان؟

- لا داع لقلقك. سأعرف كيف اجد طريقى، يا سيد كونورز.

ابتسم الرجل، وهو يأخذها امتعتها من يديها، وهو يقول لها:

- يقع فندقك الصغير، يا آنسة، على بعد خمسة وعشرين كيلومترا.

تملكتها الدهشة وقالت:

- هل... هل ابتعدنا عنه الى ... الى هذه الدرجة؟

- نمت فترة طويلة على ثوب الزفاف الجميل، ايتها الصغيرة، هيا، اصعدى الى الشاحنة.

٣- مشاعر متدفقة

نظرت اليه باستغراب، وسألته بصوت مرتجف الى حد ما:

- هل تعنى انك ستأخذنى معك؟

ابتسم فجأة، فلاحظت بعض الدفء فى عينيه القاسيتين وقالت لنفسها انه يكاد يبدو كرجل لديه صفات طيبة. أجابها بلهجة مرحة:

- حرمنى تسللك حرية الاختيار. فانا لايمكننى ترك شابة جذابة مثلك وحدها فى هذه البرارى والأدغال الموحشة.

انطلق سؤال من فمها قبل تمكنها من حبسه داخل أفكارها:

- هل تجدنى جذابة حقا؟

ابتسم اندريه عندما شاهدها تضع يدها على فمها بذعروقال لها بصوت رقيق مثير:

- هل ترغبين فى أى اثبات لذلك، يا آنسة اوبريان؟

توترت أعصابها بصورة مخيفة، وقالت له:

- لا! فى أى حال، أريد قبل صعودى الى الشاحنة وعدا صريحا منك بأنك لن تلمسنى أو تقترب منى.

www.elromancia.com

نظر اليها بعينين ثاقبتين، ثم ابتسم بمكر الثعالب وقال:

- افهمتك سابقا ان المتسللين إلى شاحنتى لا يحق لهم اصدار الأوامر. ستأتين معى حسب شروطى أنا.

- لا يمكنك ابدا ارغامى على...

اختنقت بقية كلماتها فى حلقها، عندما أمسك كونورز بكتفيها وجذبها نحوه بقوة. إلا أن تصرفها كان أسرع من ذى قبل، فأبعدت وجهها عنه ورفعت يدها لتصفعه. تصرفت بسرعة... ولكنه كان أسرع منها، وأقوى بكثير. إذ تصدى ليدها المرتفعة قبل وصولها الى هدفها، وحشرها بين جسميهما الملتصقين بحيث لم تعد قادرة على تحريكها. وتوجهت يده الأخرى فى اللحظة ذاتها الى شعرها وشدها اليه بعنف، فازداد خوفها، وشعرت بأن كرامتها طعنت فى الصميم، فتمرد عقلها وثارت أفكارها فى مواجهة هذا الاعتداء الصارخ. ولكن الموقف المفاجىء أيقظ فى نفسها مشاعر غريبة ومؤلمة. وبدأت تتجاوب وتلين. وأحست بأنها أصبحت معلقة بين الأرض والسماء وما ان ارتفعت ذراعاها لتطوقا عنقه، حتى أبعدها عنه بعصبية أذهلتها وحدة أفزعتها. و وجه اليها نظرات حارقة وقال:

- اعتقد ان وجهة نظرى صحيحة.

غمغمت فى خجل وارتباك:

- وجهة نظرك. وما هى؟

- المهم، هناك نقطة بسيطة واحدة هى أن الرحلة ستتم وفقا لشروطى أنا، دونما أى اعتراض أو تعديل.

فى تلك اللحظات المعدودة التى توقف فيها الزمن واستجابت كافة

مشاعرها وأحاسيسها لرجولته القوية المهيمنة، نسيت سالى الهدف الحقيقى لكلامه وتصرفاته. ولكن جملته القاسية تلك أعادتها الى الأرض باذلال مهيمن، لم تكن تتصور أنه قد يحدث لأى انسان فى العالم ما حدث لها. أحست فى هذه البرهة بالذات أنها... تكرهه وتحتقره الى حد بعيد. و قالت له وهى تهم بالصعود الى الشاحنة:

- تساعدك قوتك الوحشية وفظاظتك العنيفة فى تحديد الشروط التى تريدها.

- ستجلسين قربى.

ارتعش بدنها كله قليلا وكأنه لا يزال واقعا تحت تأثير تلك اللحظات المجنونة، وقالت له بانفعال وبدون الالتفات اليه:

- أفضل مواصلة الرحلة كما بدأتها.

قال لها متوعدا بلهجة ناعمة:

- هل تريدين أن اسلمك الى حبيبك، وأنت مصابة بصدمة عنيفة... وبعض الكدمات فى وجهك الجميل..؟ تعالى وكفى عن الاعتراض. انت تعرفين الآن من منا يصدر الأوامر.

قالت له بعد جلوسها بقربه فى كابينة القيادة فى المقدمة:

- ارجو ألا تستخدم معى هذه اللهجة يا سيد كونورز.

ضحك فجأة، وقال:

- انها تناسب مزاجك الحاد وطبيعتك الاندفاعية.

احمر خداها قليلا واستعدت للرد عليه بلهجة قاسية، فمضى الى القول:

ها أنت على وشك التصرف وفقا لما وصفتك به. سأناديك بالهرة

www.elromancia.com

الشرسة طالما انك حادة الطباع وسريعة الغضب. وعندما تتصرفين بهدوء وروية، ولن يكون ذلك إلا نادرا حسبما اعتقد.فسوف أنسى هذه التسمية واستخدام اسمك الجميل سالى.

ثم ابتسم ثانية، وأضاف قائلا:

- استخدمى أنت أيضا اسمى الأول اندريه، فالشكليات والرسميات لا تناسب رحلة كهذه.

ألا يمكنه مرة واحدة على الأقل أن يتحدث معها بلهجة عادية مهذبة؟ لماذا لا يطلب منها شيئا إلا بصفة الأمر؟ ألا يتوقع أبدا إلا أن أطيع أوامره وتعليماته؟ ماذا يعتبر نفسه هذا المتسلط المتكبر؟

تأملته جيدا، ى محاولة يائسة لتحليل شخصيته والدخول فى أعماق تفكيره. ولكنها أدركت عدم جدوى ذلك.. بسبب تلك الجدران القوية العالية التى يرفعها حول ذاته وكيانه، ويستحيل بالتالى اختراقها أو حتى الاقتراب منها. التفت نحوها باسما وكأنه قرأ افكارها أو سمع التساؤلات التى تتصارع فى رأسها... وقلبها.ابعدت سالى وجهها عنه بسرعة، كيلا تقول شيئا قد تندم عليه فى وقت لاحق.

كانت الشاحنة منطلقة بسرعة كبيرة، وصوت محركها يصم الآذان. لم يتحدث السائق ومرافقته الجميلة الخائفة اطلاقا، فالتطورات المثيرة والمتلاحقة التى حدثت بينهما لم تعد تسمح لهما بتبادل أحاديث عادية كأى شخصين مسافرين معا.

تعمدت إبعاد نظرها وأفكارها عنه، وحاولت التركيز على تأمل الطبيعة التى تحيط بكل شىء وجمالها الساحر. أطاعتها عيناها، ولكن تفكيرها رفض الرضوخ لأوامر العقل. وحاولت كثيرا الابتعاد عنه قدر الامكان، وعن نار جاذبيته واغرائه. ولكن الفراشة لا تقدر على الابتعاد

عن اللهب والاحتراق، حتى ولو علمت مسبقا بالمصير المشؤوم الذى ينتظرها. تبا لهذه المشاعر المجنونة، وهذا التجاوب اللعين فى أحاسيسها الغبية!

كم تبعد، يا ترى المزرعة التى يقيم فيها اندريه عن منطقة حوض التماسيح؟ لاشك فى انها بعيدة ابدا، والا فكيف قامت صداقة بينه وبين جون..؟ ولكنها تمنت عكس ذلك تماما، لأنها لن تتحمل رؤيته بشكل متواصل. سوف تضطر لبذل جهود جبارة كى تتمكن من التحدث معه بلهجة مهذبة، فهى تكرهه وتنفر منه ومن تصرفاته. كذلك فانها لن تقدر على مواجهته بدون أن تتذكر سحره ورجولته وجاذبيته.

ضايقها تفكيرها فيه وأزعجها الى درجة كبيرة، فهى فى طريقها الآن للزواج من الرجل الذى أحبته منذ صغرها... ومع ذلك فقد سمحت لنفسها ولمشاعرها بالانجراف وراء أحلام وأوهام. لم تكن لتصدق أبدا انها ستتأثر الى هذا الحد بأى رجل غير جون. اشتاقت كثيرا الى لمساته وحبه وحنانه، ولكنها لا تذكر انه حرك مشاعرها مرة واحدة مثلما فعل معها هذا الرجل صعقت بقوة عندما تبين لها مدى انجذابها نحو اندريه كونورز. قد تعتبره أسوأ رجل فى العالم، ومع ذلك فهى مضطرة للاعتراف صراحة بانها شعرت معه بسعادة فائقة لم تكن لتحلم بها اطلاقا.

أين هى قوة ارادتها؟ ستضعها الآن على المحك، فهذه فرصة لا تفوت للتأكد من قدرتها وصلابتها. انها التجربة الحقيقية الأولى فى حياتها، وقد فرضت عليها فرضا... ومن واجبها الخروج منها منتصرة على مشاعر عابرة لا تدوم.

فتحت عينيها فجأة، فلاحظت أنهما يعبران طرقات جبلية وعرة

وأن السهول الفسيحة التى كانت تمتد أمامها الى مسافات شاسعة قد اختفت تماما عن الأنظار. جبال عالية وأودية عميقة، وكل منعطف جديد يحمل معه مناظر طبيعية خلابة تسلب العقل وتحرك الشعور. كان واضحا أن اندريه سائق ماهر، يسيطر على شاحنته الضخمة بطريقة تثير الاعجاب وتدخل الطمأنينة الى النفس.

استوى الطريق بعد قليل، ولاحظت سالى كثافة المزروعات على الجانبين... فتأكد لها اقترابهما من منطقة حوض التماسيح. ولكن اندريه أوقف الشاحنة فجأة، وبصورة أدهشتها وأثارت استغرابها. لم يقل شيئا، بل ضرب المقود بيديه فى غضب بالغ ثم فتح بابه وقفز من الشاحنة. تطلعت سالى الى الامام، فشاهدت جسرا صغيرا تتدفع المياه فوقه بقوة وسرعة... بحيث لا يمكن عبوره بدون مواجهة بعض الأخطار المحتملة. لحقت به وسألته بانفعال:

- هل تشكل المياه مشكلة كبيرة؟

لم يرفع نظره عن الجسر، عندما أجابها:

- ألا ترين المياه تغمر الجسر؟

- قالت له بلهجة هادئة، وكانها واثقة من قدرته على تخطى المشكلة:

- ولكن شاحنتك الكبيرة لن تتأثر بهذه الكمية القليلة من المياه.

أدار وجهه نحوها للمرة الأولى منذ فترة طويلة، وسألها متهكما:

- هل أنت خبيرة فى هذه الأمور؟

لم تقدر على منع الاحمرار عن خديها، ولكنها نظرت الى عينيه وقالت له بتحد واضح:

- لم أكن اتصور أن مشكلة بسيطة كهذه قد تعيقك وأنت السائق الماهر.

- من المؤكد أنها لن تعيقك انت، لأنك من اولئك الأشخاص الذين يندفعون الى الأمام بتسرع وتهور... وبدون تفكير بعواقب الأمور أو المخاطر.

تجاهلت سخريته اللاذعة، وسألته بصوت يكاد يرتجف قلقا:

- هل... هل تعتقد حقا... بأن عبور هذا الجسر قد يشكل... خطرا علينا؟

- لن أتأكد من ذلك ما لم أعرف عمق المياه.

اقتطع غصنا كبيرا من شجرة قريبة، ثم أنزله فى الماء المنساب فوق الجسر الى أن ارتطم بجسم الجسر. ومع أن نظراته الغاضبة كانت كافية لمعرفة النتيجة، إلا انها أصرت على سماع الجواب النهائى. سألته بتردد:

- هل يمكننا العبور؟

- كلا فالعبور الآن مغامرة خاسرة.

صمتت لحظة، ثم سألته ثانية:

- الا يوجد طريق آخر؟

ضحك فجأة وقال:

- الحياة مليئة بطرق اخرى.

- يجب تجاوز هذا الجسر اذن، مهما كانت الظروف.

- سنضطر لقطع مسافة تبلغ حوالى ثلاثمئة وخمسين كيلومترا.

- أوه.. مستحيل!

www.elromancia.com

- هل لديك أى اقتراح آخر؟

- يمكنك المجازفة بعبور الجسر.

- انسى فكرة العبور كليا من فوق هذا الجسر فى الوقت الحاضر.

تأكد لها من لهجته الحازمة انه لن يعود عن قراره هذا، حتى تنحسر المياه الى المستوى الذى يقبل به. تأملته طويلا، ثم قالت له بصوت رقيق ناعم:

- انت خائف على؟

- ها قد عدت لتوجيه المديح والاطراء الى نفسك، أيتها الشرسة، المتسللون إلى شاحنتى لا يستحقون العناية والاهتمام من أحد، ما يهمنى فى المقام الأول هو سلامة معداتى.

- تألم قلبها من تلك الطعنة الحاقدة التى وجهها اليها لسانه السليط، وشعرت برغبة أكيدة فى صفعة قوية الى وجهه اللعين.

رددت كلمته الأخيرة بما يشبه التهكم:

- معداتك؟ معداتك؟

- نعم، معداتى الموجودة تحت ذلك الغطاء السميك. هيا بنا.

- لا...

ركضت وراءه وأمسكت بذراعه لمنعه من الصعود الى الشاحنة، قائلة:

- لدى فكرة لا بأس بها.

استدار نحوها، وقال لها بلهجة جادة:

- حسنا، لنسمعها.

- سأسير أمام الشاحنة وأرشدك الى الطريق.

لم يسارع الى التهكم كعادته، فشعرت بوجود بصيص من الأمل وأضافت بحماس:

- انا قادرة على ذلك، يا اندريه! صدقنى، سأقدم على هذه الخطوة بدون أى تردد!

- ألن تخافى؟

- لا، أبدا! أوه، بلى، سأخاف قليلا... ولكنى مستعدة تماما للقيام بذلك.

لمع فى عينيه بريق حاد لم تتمكن من تفسيره، مع انه جعل جسمها يرتعش قليلا ونبضها يتسارع الى حد ما. ثم قال لها:

- اعتقد انك ستفعلين ذلك، فيما لو سمحت لك، ولكنى لن أغامر بك.. على الإطلاق. هيا بنا، يا سالى.

أوه! ناداها باسمها الأول ولم يستخدم ذلك التعبير المزعج...الهرة الشرسة! لا شك فى انها قالت شيئا أعجبه، أو تصرفت على نحو ارتاح اليه. أحست بدفء يغمر قلبها ومشاعرها، كنتيجة فورية لذلك التحول المفاجىء فى حديثه... ونظراته. أدار محرك الشاحنة بعد صعود سالى الى جانبه، ثم قام ببعض المناورات الذكية والجريئة فى وسط الطريق للاستدارة الى أن أصبح الجسر وراءهما. سيعودان الآن الى ستريمز ليتحولا فيما بعد إلى طريق أخرى تسمح لهما بتجاوز هذا الجسر اللعين وهذا معناه أنها لن تصل الى حوض التماسيح إلا فى وقت متأخر جدا، اذ لا يمكن لشاحنة ضخمة كهذه قطع مسافة تزيد على ثلاثمئة كيلومتر بأقل من خمس ساعات... مهما كانت الطريق خالية والسائق ماهر.

www.elromancia.com

وفجأة، خطرت ببالها فكرة جديدة أزعجتها وضايقتها الى درجة كبيرة. كيف يمكن لرجل واع قدير مثل اندريه كونورز ألا ينتبه لأحوال الطرق التى يعرفها جيدا؟ لذلك سألته بهدوء يخفى قلقا وتوترا:

- ألم تكن تعلم بوجود ذلك الفيضان؟

- لا، فقد ابلغنى الموظف المسؤول فى الفندق بأن العبور ممكن.

- ولكنك كنت تعرف بلاشك أن أمطارا غزيرة هطلت فى الأيام الماضية! تأمل وجهها بعض الوقت، ثم قال لها:

- طبعا، ولكنى كنت غائبا عن المنطقة لأكثر من اسبوع. وعلى ذلك وثقت بكلام الموظف عندما ابلغنى أن مستوى ارتفاع مياه النهر انخفض الى نسبة تسمح بعبور الجسر.

كيف يمكنها مجادلة هذا الرجل وهو يتحدث بأسلوب منطقى متزن؟ التهور لا يعنى الشجاعة، والتطرف فى المغامرة والمجازفة ليس دليلا على القوة والرجولة. لم تعلق على ردوده المنطقية بشىء، اذ انها بدأت تفكر بالرحلة الطويلة التى تنتظرها ابتداء من ستريمز. وما هى الا بضع كيلو مترات، حتى تحول اندريه كونورز بشاحنته عن الطريق الرئيسية الى اخرى جانبية ترابية، سألته سالى، وهى تعلو وتهبط بسبب الارتجاجات القوية المتواصلة:

- هل هذا هو الطريق الذى سنسلكه لتجاوز الجسر؟

- نعم، ألست سعيدة لأنك جالسة هنا عوضا عن التمدد على ظهر الشاحنة؟

لم تكن بحاجة لتوجيه سؤالها، كى تعلم مدى العذاب الذى كانت ستواجهه فيما لو كانت على ظهر الشاحنة. ولكن سخريته اللاذعة لم

تكن ضرورية أبدا ! لاشك فى انها أخطأت كثيرا فى تقييمها لهذا الرجل، عندما كانا قرب الجسر. فهو بعيد كل البعد عن الانسانية والرقة والنعومة، ولا يستحق إلا الاحتقار! انه قاس ومتسلط ومتعجرف، وقادر على أن يكون فظا ومتوحشا للغاية فى أعماله وتصرفاته!

لاحظت سالى انه يركز نظره واهتمامه على الطريق، ومع ذلك فقد أحست انه يقرأ أفكارها ويعرف حقيقة مشاعرها. جاهدت حتى لا تسمح له بذلك مهما كلف الأمر و قررت الرد عليه ولو بعد حين، فرفعت رأسها وقالت:

- لا فرق عندى بين الجلوس هنا أو على ظهر الشاحنة.

ضحك من ردها وقال:

- تأكدى من حسن تصرفك، أيتها القطة الشرسة وإلا فقد تجدين نفسك مرة أخرى تحت ذلك الغطاء السميك على ظهر الشاحنة عاد ثانية الى هذه التسمية المزعجة! ولكن... هل هى حقا مزعجة وتثير أعصابها واشمئزازها لا؟ فالغريب فى الأمر هذه التسمية بدأت تعجبها الى حد ما... مع انها لن تدعه يعرف ذلك اطلاقا.

أدارت وجهها نحو النافذة، وراحت تتأمل تلك الحقول الخضراء التى تمتد الى ما لا نهاية. المناظر الطبيعية كانت خلابة وتدخل البهجة والسرور الى القلوب الحزينة، ولكن الوحدة بشعة مؤلمة وتذكر الانسان بانه معزول وغريب. لم تشاهد جرارا زراعيا أو مزارعا، ولم تسمع غناء راع أو ثغاء شاه. هل سيتابع كونورز طريقه بدون توقف، أم سيمضيان الليل فى فندق صغير ليواصلا الرحلة صباح اليوم التالى؟ واذا قرر ذلك، وكيف سيكون رد فعل جون على وجودها وحيدة مع اندريه؟ انه رجل عاقل ومنطقى، ومن المؤكد انه سيتفهم الأمر.

www.elromancia.com

ولكن مع اشتداد وعورة الطريق، تضاءلت معها الى درجة مرعبة احتمالات ايجاد فندق يبيتان فيه حتى الصباح، وعند ذلك أحست بتوتر شديد فى أعصابها، فاق الى حد كبير الارهاق العاطفى الذى تعانى منه. التفتت نحو اندريه مرتين لتوجه اليه سؤالا بسيطا للغاية، ولكنها لم تتمكن فى أى منهما من حمل نفسها على ذلك. فهو سيجيبها بسخريته المعهودة، وبطريقة لا تمكنها من الرد عليه. فضلت سالى البقاء صامتة الى أن تعرف ماذا سيفعل، وعندها فقط ستتخذ القرارات المناسبة.

ظهرت الجبال أخيرا مرة أخرى أمام عينيها المتعبتين، ولم يبد بعد أى أثر لقرية أوبيت أو... انسان فازداد قلقها وارتباكها وانقباضها. واخذت تعاتب نفسها بقوة على القيام بهذه الرحلة اللعينة. ألم يكن من الأفضل لها البقاء فى ستريمز حتى يوم غد؟ اللعنة على تسرعها، وعلى قرارها الأرعن بالتسلل الى شاحنة اندريه! لم تتبادل واياه أى حديث على الاطلاق، منذ تلك الكلمات القليلة القاسية حول المقارنة بين مقعد الشاحنة وظهرها. ولكنها كانت تشعر بين الحين والآخر انه ينظر اليها خلسة... ويسخر من قلقها وانزعاجها.

غابت الشمس وبدأت خيوط الظلام تزحف بسرعة، فيما أخذت فلول النهار تتراجع... وتختفى عن الأنظار. أوقف اندريه الشاحنة فجأة ثم فتح بابه وتطلع نحو سالى بعينين سوداوين براقتين. قالت لنفسها انه يريد اعادة النشاط والحيوية الى رجليه المرهقتين بالتأكيد بسبب قيادة شاحنة كبيرة مثل هذه المسافة الطويلة... والا فما من سبب آخر يدفعه الى التوقف فى هذا المكان المقفر! ولكنها أحست بغصة عندما رأته يوقف المحرك وينزل من الشاحنة، عندها تظاهرت بأنها لا تشعر بأى انفعال أو... خوف، وقالت بهدوء:

- استغرب توقفنا فى هذه المنطقة المهجورة البعيدة عن البشر.

- حقا؟ اعتقد انها اختيار مناسب للغاية، اذ فيها كل شىء نحتاج اليه... بما فى ذلك مياه الشرب الصافية، التى يمكن استخدامها لاعداد الشاى... والاغتسال.

- تعنى ... تعنى أننا... لا...

اختنقت الكلمات فى حلقها وتملكها الهلع، فقال لها ما كانت تخاف منه وتخشاه:

- سنمضى الليلة هنا، يا صغيرتى. هيا انزلى وتحركى قليلا.

- لا! لا، لن امضى الليلة هنا!

لم يأبه للهجة التحدى القاسية، وسألها ببرود وتهكم:

- هل تعرفين مكانا أفضل من هنا؟

- أى فندق مع غرفتين منفصلتين.

قال لها بكثير من الهدوء والارتياح، وكأنه يتمتع بذعرها وعذابها:

- كلمة فندق غير معروفة فى هذه الادغال والبرارى.

- ولكن... ولكن جون سيشتعل غيظا وحمقا عندما يعرف أننا أمضينا الليل معا فى الشاحنة.

- هذا أمر يتعلق بكما، انت وحبيبك. أنا لم أطلب منك أو أسمح لك بمرافقتى. سأتمشى قليلا قبل العشاء اذا أردت التحرك قليلا، فهيا بسرعة وبدون تردد.

لاحظت سالى أنه لم ينتظرها أو يعر رغبتها أى اهتمام على الاطلاق، فتأكد لها أن أى محاولة للاعتراض أو الاحتجاج ستكون

www.elromancia.com

عقيمة وفاشلة. لحقت به رغما عنها. فرجلاها بحاجة تحريك عضلاتها. والبقاء بمفردها فى هذا المكان أصعب بكثير من وجودها مع... أى شخص آخر... حتى اندريه كونورز! كان الصمت مطبقا ورهيبا، بعد توقف المحرك، ولم يقطعه الا صراخ طائر وحيد حلق فوقهما برهة... ثم اختفى... لماذا لم تختف معه هذه الأفكار السوداء التى تتضج فى رأسها وعقلها وقلبها؟

لم تعد خائفة مما سيقوله جون، لأنه انسان عاقل وحكيم ويثق بها ثقة مطلقة... ومستعد لتفهم الأمور على حقيقتها. ولكنها خائفة من نفسها، ومن وجودها مع هذا الرجل الذى يلهب مشاعرها ويثير أحاسيسها! ماذا سيفعل، وكيف سيتصرف؟ هل سيحاول التحرش بها، وهى فى هذا الوضع الضعيف الذى لا يسمح لها بالدفاع عن نفسها؟ لا، لا يمكن للرجل الذى أنقذها من مارنى كروجر أن يتصرف مثله! ومع ذلك، فعليها أخذ جانب الحيطة والحذر...

وصلا الى جدول تنساب منه المياه الصافية النقية، لتتجمع فى بركة صغيرة تحيط بها الصخور والاشجار. دهشت عندما شاهدت اندريه ينحنى فوق الماء ليشرب ويغسل وجهه ويديه. فسألته عما اذا كانت المياه نظيفة فقال لها:

- تماما. جربيها.

كانت الدعوة مغرية الى حد كبير فقد كانت بحاجة ماسة لأن تغتسل، ولكن خوفها من الأمراض فى مثل هذه المناطق الحارة جعلها تحجم عن تلبية الدعوة. سألته عن أحد هذه الأمراض، وهو البلهارسيا، فابتسم وقال:

- أنت محقة كثيرا فى تخوفك من هذا الداء بالذات، ويسرنى أنك تعرفين عنه وتحاولين تجنبه. ولكن هذا الجدول ماؤه جار و خال تماما من أى أمراض أو أوبئة.

لم يعد ثمة داع لتوجيه سؤال آخر، فهو رجل لا يقول شيئا ما لم يتأكد منه... ولا يقدم على أى خطوة اذا كان يشك فى صحتها أو سلامتها. عند ذلك شعرت بارتياح كبير عندما غسلت وجهها وذراعيها بتلك المياه الباردة المنعشة، وقالت له ممازحة:

- انى اتضور جوعا، يا اندريه، وآمل فى أن يكون المطعم القريب مزودا بأطيب المأكولات وأشهاها.

أمسك بمنقها قائلا:

- انك اكثر المتسللين الى شاحنتى جسارة.

نسيت ارتياحها ومرحها، وقالت له بصوت مخنوق:

- حقا؟

- وأجملهم أيضا.

حرمتها قساوته من بهجة التمتع بتلك الجملة الرائعة، فكررت القول انها جائعة الى درجة كبيرة. ابتسم وقال لها:

- حسنا، أنت بالفعل تستحقين ذلك لأنك واجهت هذه الرحلة الشاقة حتى الآن بشجاعة وقوة ولكنك تشعرين أن من واجب الآخرين السهر على راحتك وخدمتك، أليس كذلك؟ أبعدت رأسها عنه بهدوء وروية كيلا تغضبه، ثم سألته بلهجة صادقة لماذا تكرهنى يا سيد كونورز؟

-يبدو انك تميلين الى التراجيديا، انا لا اكرهك، يا صغيرتى وقد قلت ذلك أمس.

- ولكنك لا تعتبرنى زوجة مناسبة لجون!

- تماما. لاحظ غيظها وانفعالها، فمضى الى القول:

- لا داع لاستخدام مخالبك، أيتها القطة الصغيرة فهذا هو رأيى الذى لن يغيره أى شىء ستقولينه لى. والآن... ماذا تفضلين للعشاء؟ اللحم المشوى أم المقلى أم المطبوخ؟

٤ ـ القطة الشرسة

لم تجبه، فكرر السؤال بلهجة جدية تنم عن ثقته فيما يقول. قالت له انها مستعدة لكى تأكل طعام موجود او يسهل اعداده. لكنه اصر على معرفة النوع الذى تريده، فاختارت اللحم المشوى.

راقبته سالى بامتعاض وهو يتوجه الى شاحنته لاحضار ما يلزم، وتمنت لو انه ليس ذكيا وعمليا الى هذه الدرجة. لابد لها من الاعتراف رغما عنها بانه واثق جدا من نفسه ويعرف تماما كيف يواجه كافة الأمور ويسيطر عليها. لا شك فى انه قادر على التحكم بكل شىء يتعلق به... كشاحنته وحصانه و... وحتى النساء فى حياته

ومن المؤكد ان لديه تاريخا حافلا فى هذا المجال ، فاسلوبه الماهر فى معاملة المرأة يثبت ذلك بشكل قاطع. ولكن... الا يمكن مثلا ان يكون متزوجا؟ واذا صح هذا الأمر، فمن هى تلك الغبية المسكينة التى رضيت بالزواج منه؟

جمع اندريه بعض الاحجار المختلفة الاحجام، وصنع منها موقدا صغيرا، ثم اشعل النار. بينما كانت سالى تسأل نفسها: لماذا تثبت لها بانه قادر على فعل اى شىء؟ لماذا يتحداها بقدرته ورجولته؟ ما الذى يخفيه وراء شخصيته الغامضة؟ انها لا تعرف عنه شيئا حتى الآن. هل

www.elromancia.com

هو عامل بسيط؟ هل يملك مزرعة؟ لا شك فى ذلك، فهو من اولئك الرجال الذين لا يقبلون بسيطرة الآخرين عليهم.

ستعرف كل شىء عنه بالتأكيد ، بعد وصولها غدا الى حوض التماسيح. سيطلعها جون على كافة التفاصيل التى تريدها. ولكن... هل ستظل مهتمة به غدا كما هى اليوم؟ لا، لا يمكن ففرحها بلقاء خطيبها بعد هذا الغياب الطويل سينسيها اندريه كونورز وجاذبيته اللعينة. ستخصص معظم وقتها وجدها استعدادا لزواج مبكر عاجل، بحيث تزول اهمية اندريه لديها ويتحول الى مجرد شخص اوصلها الى خطيبها.

أوه لمتى سيأتى هذا الغد البعيد؟ الى متى ستظل اللحظات الحالية الواقع الوحيد فى حياتها وكأنه فترة زمنية لا تعرف بدايتها او نهايتها؟ اللعنة! ما بالها لا تفكر الا به؟ هزت رأسها بعصبية بالغة، علها تحاول الا تفكر به أكثر من اللازم.

رفع اندريه رأسه نحوها فى تلك اللحظة بالذات، فارتعش جسمها وضعفت ركبتاها. بدائيته... شراسته... وسامته... جاذبيته... نظراته... اجتمعت كلها خلال نظرة واحدة، فأثارتها وأذابتها. ابتسم وكأنه يشعر بما تعانيه، ثم قال:

- العشاء جاهز.

استعادت انفاسها المضطربة بصعوبة، وقالت بدهشة وامتنان:

- شكرا... شكرا لك.

- ما هذه الرسميات، بل مجرد تهذيب.

- وهل من التهذيب ايضا أن تجلسين بعيدة عنى الى هذه الدرجة؟ لدى اقتناع شبه راسخ بأنك لازلت تخافين منى.

طعنت عليها انوثتها وكرامتها معا فى لحظة، وقالت له بحدة فائقة:

- اندريه كونورز! انت رجل كريه بشكل لم اعرف له مثيلا فى حياتى!

قال لها بنبرة لا تدل على أى شعور بالندم:

- يبدو انك كنت مرتبطة بمعسولى الألسنة فقط.

حاولت اجابته على الفور، فتابع قائلا:

- لا تقلقى ايتها القطة فلن يؤدى ذلك زيادة مشاكلك. هل تعجبك رائحة اللحم المشوى؟

تمتمت بلهجة ساخرة وعنيفة:

- انها تكاد تخنقنى.

ارتعشت عندما سمعت تلك الضحكة الخفيفة، التى تثير أعصابها وتلعب بمشاعرها. أكلت أول قطعة، وهى تلعن هذا الرجل الوقح الكريه والطعام الذى اعده! لو لم تكن خائرة القوى بسبب الجوع الرهيب، لما اكلت او سمحت لنفسها حتى بالاقتراب من هذا الطعام. ولكنها لم تأكل شيئا منذ الليلة السابقة، ولن تتمكن من تناول أى طعام صباح اليوم التالى.

كان العشاء شهيا للغاية! ولابد لها من الاعتراف بذلك، على الرغم من العداء الذى تكنه نحو هذا الرجل. فقد كانت كمية اللحم التى قدمها لها، تكفى شخصين جائعين... وبخاصة لأنه اضاف اليها ثلاثة انواع من الخضار الطازج، واتبعها بفنجان كبير من القهوة وقطعة من الحلوى. انه حقا إنسان ماهر فى كل عمل يقوم به، وكل خطوة يقدم عليها.

ظهرت النجوم فى السماء، وخرجت حشرات الليل من مخابئها... وانخفضت درجة الحرارة بشكل ملحوظ. شدت سترتها الخفيفة بقوة حول جسمها المرتعش، فسمعته يسألها بلهجة حانية:

- هل تشعرين بالبرد؟

لم تتمكن من اخفاء الحقيقة، مع انها ارادت اظهار قدرتها أمامه على مواجهة الصعاب وتحمل المشاق بقوة وشجاعة. اجابت بصوت منخفض:

- الى حد ما.

وتساءلت فى نفسها، هل سيسخر منها أو يبدأ بتوجيه انتقاداته الجارحة اليها؟ هل يبتسم... هل يضحك... ام انه سيظل صامتا؟ قال لها بعد لحظات بدت طويلة ومريرة:

- لنفكر اذن بالنوم.

سألته بصوت حاولت اخفاء توتره وارتعاشه قدر الامكان:

- اين وكيف سننام؟

ابتسم وقال:

- فى الشاحنة... معا. هل لديك رأى آخر؟

كان لابد لها من اتخاذ موقف حازم، والتحدث معه بلهجة قوية وحاسمة. لذلك رفعت رأسها بانفعال، وردتك

- نعم! فمن المستحيل ان ننام معا داخل الشاحنة. اجابها بصوت هادىء:

- اذا اردت النوم فى العراء، فهذا شأنك وحدك.

ثم ابتسم، واضاف قائلا:

- انا شخصيا، سأجد الامر مزعجا للغاية.

ارتبكت سالى... احتارت... وشعرت بانقباض شديد، قالت متلعثمة:

- أنا لم... لم اقصد النوم فى... فى العراء، ولكن الغطاء... الا يمكنك النوم تحت الغطاء الخلفى يا... اندريه؟

- اجابها باسلوب صريح واضح:

- هذا امر غير وارد اطلاقا وهذه شاحنتى وأنا، انوى النوم داخل الكابينة.

- ولكن... ولكن ذلك مستحيل!

لم تعد نبرة صوتها قوية كما يجب، وشعرت أنها اصبحت فى موقف ضعيف للغاية. الا انها قررت عدم الاستسلام والرضوخ... فورا اضافت قائلة، كيلا يتمكن من التعليق على جملتها السابقة:

- سأنام انا فى داخل الكابينة.

- حقا؟

هل يضحك عليها؟ أم انها تخيلت ذلك كنتيجة لخوفها وانفعالها؟ فتحت فمها لتواصل الاعتراض، فقال لها:

- عظيم. يبدو اننا سنمضى الليل معا، ولن يشعر اى منا بالوحدة او السأم.

احست برعب يكاد يخنق الكلمات فى حلقها، فصرخت به مذعورة:

- لا، لا! إننى اصر على بقائك خارج الكابينة.

www.elromancia.com

اطبقت اصابعه القوية على معصمها، وكأنها قيد حديدى، وقال لها:

- اسمعى جيدا، ايتها اللعيتة انا لم اوجه لك اية دعوة للسفر معى ولست مضطرا بالتالى للاهتمام بك اكثر مما تستحقين. انا املك هذه الشاحنة وعليه فلى أنا وحدى الحق فى تحديد الشروط بأية طريقة تعجبنى او تناسبنى. سأنام فى الداخل، وستفعلين مثلى... اذا كنت تعرفين مصلحتك وتهتمين بنفسك.

حاولت جاهدة تخليص معصمها من قبضته الفولاذية، ولكن جميع محاولاتها فشلت.

هزت رأسها بتحد واضح، وسألته بغضب:

- واذا كنت لا اعرف ما يناسبنى، فما هى النتيجة؟

- سوف تتحملين وحدك مسؤولية المضاعفات السلبية، التى قد تنجم عن ذلك.

ثم هز كتفيه بطريقة توحى باللامبالاة، ومضى الى القول:

- نحن الآن فى منطقة تعج بالفهود المفترسة يا عزيزتى فاذا اردت المجازفة باغراء فهد لتذوق لحمك الطيب الشهى، فالأمر بيدك أنت.

جف لعابها فى فمها وتجمد الدم فى عروقها، لمجرد التفكير بما قد يحدث لها اذا ما هاجمها فهد جائع.

قالت له بمزيج من الغيظ والأسى:

- لا يهمك ابدا، على ما يبدو، اذا افترستنى حيوانات برية جائعة. اليس كذلك؟

رد عليها بمرح:

- لا، لا يهمنى ذلك ابدا.

ترك معصمها أخيرا، وانحنى لاطفاء ما تبقى من النار الخفيفة. وفجأة خطرت ببالها فكرة اعجبتها كثيرا، قد يشعر اندريه طبعا بغضب عارم، ولكنه لن يتمكن من القيام بشىء اطلاقا. وماذا يهمها، فيما لو استيقظ فى الصباح وهو لا يزال غاضبا! هزت رأسها استحسانا للفكرة، وقالت له بهدوء ماكر:

- يبدو انه ليس لدى خيار آخر، ولكن، هل تسمح لى ببضع دقائق على انفراد؟

- هل ستتكلمين بمثل هذه الصراحة وهذه البساطة ليلة زفافك؟

أحست بسخريته الجارحة، وجرأته التى زادت عن حدها، ولكنها فضلت عدم التعليق على كلامه. والمجازفة بافشال مخططها الذكى.

انتظرت لحظة، فسمعته يضيف قائلا:

- هيا بسرعة، وتأكدى من انك ستكونين محتشمة.

مشت نحو كابينة الشاحنة على عجل، غير عابئة بتهكمه وسخريته. آه، كم سيشتمها... وكم سيلعنها! سيزداد كراهية لها ولتصرفاتها، ولكنها ستكون المرة الاولى التى لن يتمكن فيها من اتخاذ اى اجراءات مضادة. ستنتصر عليه، وستكون هى صاحبة القرارات الحاسمة ولو لبضع ساعات قليلة...

حبست أنفاسها، وهى تصعد الى الشاحنة. اوه، نعم! لاتزال المفاتيح فى مكانها! تنفست الصعداء وكتمت صرخة تفيض فرحا وسعادة، ثم سارعت الى اقفال البابين... وجلست بارتياح بالغ تنتظر رد فعله الجنونى.

ارض الفهود! لم يتوقف اندريه كونورز عند اى حد لادخال الرعب فى قلبها، أو القلق والازعاج فى نفسها. ولكن حديثه عن الفهود قد يكون صحيحا، فهذه هى مناطق الادغال والغابات. يا لسعادتها! لم تعد بعيدة اذن عن منطقة حوض التماسيح... وخطيبها الحبيب! الا يعنى ذلك أيضا ان اندريه معرض لاخطار جسيمة؟ الم تسمع احيانا عن مشاكل يواجهها المزارعون والفلاحون بسبب أسد او فهد او نمر؟ لا، لم تحدث هذه الأمور الا نادرا... ولم تهاجم الحيوانات الضارية الا المواشى...

شعرت بوخز الضمير يجتاح أعصابها. سوف تتعذب طوال حياتها، اذا تعرض اندريه لأى حادث من هذا القبيل. هل تفتح له الباب،وتسمح له بالدخول؟ لا! سيكون آمنا تماما اذا نام تحت ذلك الغطاء السميك بالخلف.

تحرك مقبض الباب مرتين بطريقة عادية، ثم بعنف وحدة. لن يتمكن ابدا من فتح الباب، طالما انه مقفل من الداخل وليس معه مفتاحه. ومع ذلك، فقد شعرت سالى بالخوف والهلع. لمجرد سماع ضرباته على الزجاج، ولكن القوة التى استخدمت فيها جعلتها تقفز من مكانها. تصورت انه سيحطم الزجاج، ولكنه لم يفعل ذلك... بل قال لها بلهجة آمرة قاسية:

- افتحى الباب.

- اكتفت بكلمة لا، ثم ضحكت بصوت منخفض عندما ادركت انه لم يسمعها. ليس امامها الآن سوى الترقب والانتظار، لمعرفة خطوته المقبلة. اذا خفت حدة غضبه وتأكد لها انه لن يقدم على اى عمل متهور، فهى مستعدة لفتح النافذة قليلا واعطائه ما يحتاج اليه.

- ادارت وجهها الى الناحية الأخرى، لتبحث له خلف المقعد الكبير

عن غطاء يلف به نفسه اتقاء للبرد السديد. لن يتهمها إذن بالظلم، وقد يدرك اثناء وجوده بعيدا عنها السبب الحقيقى لخطوتها هذه وأنه كان السبب فى ذلك.

سمعت حركة غريبة لم تكن لتتوقعها، فرفعت رأسها وتطلعت نحو باب السائق بذعر وذهول. رأت الباب مفتوحا، ورجلا ضخم الجثة يدخل الشاحنة بهدوء وارتياح. التصقت بالباب القريب منها، وقد حل الخوف والرعب محل الاطمئنان وفرحة الانتصار. سألته بصوت مرتجف خفيف:

- كيف... كيف دخلت؟

اضاء النور الداخلى وحدق به، فشاهدت وجها متحجرا شاحب اللون وعينين قاسيتين تقدحان شررا. قال لها:

- توجد معى دائما مفاتيح اضافية، يا عزيزتى.

ثم اغلق الباب، واضاف بلهجة رصينة قائلا:

- انى اشفق على جون المسكين لأنك لست ذكية على الاطلاق.

تدحرجت دمعتان حارتان على خديها، وقالت له بصوت خائف حزين:

- لا، لست غبية ابدا... وهذا هو السبب. فأنا... لاأرغب فى... فى النوم... لأننى...

قاطعها بشدة قائلا:

- لم افكر بتاتا بما يدور بخلدك. كل ما قصدته هو ان تنامى قريبى، لا اكثر ولا اقل. ثم اقترب منها قليلا، وسألها بصوت هادىء دافىء:

www.elromancia.com

- هل يحتمل انك ترغبين فى أمور اخرى ؟

تقوقعت فى زاويتها وصرخت به:

- اياك ان تلمسنى!

ضحك اندريه بطريقة استفزازية ، وقال:

- لما لا؟

انه اسخف واحقر سؤال سمعته فى حياتها! لما لا! كيف يجرؤ او يتجاسر على توجيه سؤال كهذا؟كادت تطحن اسنانها من شدة الغيظ... والذعر، ولكنها سيطرت الى حد ما على اعصابها المتهكمة المنهارة وقالت بحدة:

- لأننى، ببساطة، لا أريد ذلك .

ابتسم بخبث، وقال لها بلهجة غريبة جعلت جسمها يرتجف كأوراق فى مهب الريح:

- هل تعرفين حقا ماذا تريدين؟

اجابته بلهجة تحمل اكبر قدر من الثقة بالنفس:

- طبعا، طبعا.

- لست متاكدا كثيرا من هذا الأمر أيتها القطة الكاذبة.

لم تجد متسعا من الوقت لتفتح الباب وتهرب من كبينة الشاحنة فقد امتدت ذراعه نحوها بسرعة مذهلة لتطوقها بقوة وتجذبها بيسر وسهولة. أمسك بكتفيها، فحبست انفاسها وانتظرت خطوته التالية، دونما أى اعتراض او ممانعة. هذا هو السهم الأخير فى جعبتها! لن تضربه او تصفعه... لن تقاومه او تحرك ساكنا! ستكون كقطعة ثلج

بين يديه... أو كجثة هامدة، فحتى الحيوانات الضارية تأنف من الجثث ولا تقترب منها! وعند ذلك سيفقد حماسته ورغبته، ان لم يواجهه بقتال او مقاومة! اين فرح الانتصار، اذا واجه المعتدى استسلاما فوريا وتاما؟ سيتراجع بلا شك ويتركها محالها قال لها:

- ما بك؟

فلم تجبه بل ظلت تنظر اليه بخوف، وغصة تحرق حلقها. ضمها الى صدره فأحست وكأنها قطة تبحث عن الدفء وسط صحراء من الثلج لم تعد تفكر بالهرب منه ... لم تعد تفكر بأى شيء عقلى او منطقى! نسيت خوفها منه وكرهها له... وتحول خوفها الى سكينة غريبة واستسلام تام. تصورته قاسيا عنيفا، اللعنة عليه... لقد اوحت لها تصرفاته بأنه يكرهها ويحتقرها. ولكن الآن فى هذه اللحظات تشعر بحنانه وخوفه عليها وقدرته على حمايتها. لماذا تتمنى ان يتوقف الزمن لتظل معه؟ اى سبب يشعرها برغبة فى البكاء... فى الضحك. لماذا تتمنى عدم مواصلة الرحلة الى حوض التماسيح؟ أين مشاعرها تجاه جون خطيبها، هل نسيته؟ الا تريد الذهاب اليه؟ انها تحبه منذ الطفولة. تحبه. بلا... لا ... بل هى ...

رفع اندريه رأسه عنها، فشعرت بخيبة أمل مريرة. كانت ترتعش كطائر مذبوح وصدرها يعلو ويهبط كذورق صغير فى بحر هائج. نظرت إليه وهى زائغة العينين وغير قادرة على الكلام أو الحركة. فقال لها بصوت عادى جدا اذهلها وصدمها:

- والآن، ايتها القطة الصغيرة هل أصبحت تعرفين ماذا تريدين؟

شعرت بالمهانة، وبطعنة قاسية فى صميم كرامتها وعزة نفسها. لم تغظها لهجته بقدر ما أغضبها حوارها مع نفسها ومشاعرها

www.elromancia.com

المتضاربة فابتعدت عنه قائلة: نعم! اريد الا تقترب منى أبدا! اذا كنت تتصور اننى ضعيفة او مستسلمة فأنت مخطئ!

ضحك بصوت مرتفع، وقال لها بلهجته الساخرة المعهودة:

- اعرف بالتأكيد ما تريدين يا عزيزتى ولو توفرت لنا ظروف مختلفة عن هذه لكنت أخذت المسألة بعين الاعتبار. اما ان اقدم على ذلك مع طفلة، وفى شاحنة فهذا ليس من شيمتى او من عادتى.

جن جنونها عندما طعنها فى أنوثتها، وقالت له وقد استشاطت غضبا:

- لن يجمعنا ابدا شىء واحد، يا اندريه كونورز، والأفضل لك ان تقنع نفسك بذلك.

- انا مقتنعة على الأقل بأنك اصبحت تعرفين الآن ماذا تريدين

رفع الغطاء الذى ادخله معه الى الشاحنة، وأضاف قائلا:

- ستكون ليلة طويلة وباردة وانا آسف لأنه ليس لدى سوى غطاء واحد، ولكنه يكفينا معا.

تسمرت فى مكانها، فيما كان يضع قسما من الغطاء حول كتفيها والقسم الآخر فوق جسمه، ثم قال لها:

لم تمض لحظات وجيزة، الا وكان اندريه كونورز يغط فى نوم عميق. اللعنة عليه! ازعجتها صورته فى الليلة السابقة، وها هو الآن يفعل الشىء نفسه... وبطريقة اكثر خطورة. فرأسها لا يزال مشتعلا بالاحاسيس التى اثارها فيه، وعقلها لا يزال غارقا فى بحر من النشوة والغيظ والغضب. خليط عجيب من المشاعر ايقظها بداخلها اذا تحركت قليلا نحوه لتعتدل كى تنام هى الأخرى... سيحدث احتكاك...

انه يغط فى نومه ولن يعرف شيئا، ولكن... من الضرورى جدا الا يحدث هذا الامر اطلاقا، يجب الا يحدث...

لقد كان عليها ان تقاوم ضعفها ومشاعرها وتخيلاتها وتفكر فقط بحياتها مع جون خطيبها، اما هذا الرجل النائم بجانبها فسوف تنساه فى أقرب وقت. ابعدت سالى نظراتها عنه بصعوبة بالغة،وحدقت الى الظلام الدامس الذى تغرق فيه الشاحنة وعادت الاسئلة تثور من جديد فى رأسها يجب ان تكون، كعادتها، صادقة وامينة مع نفسها وضميرها. الم تكن مشاعرها حقيقة نابعة من الصميم، وليست نتيجة لحظات عابرة؟ لم تعرف ابدا من قبل مثل هذه الأحاسيس الجديدة المجنونة، انه لأمر مخيف جدا ان يكتشف الانسان الواثق من نفسه، وبصورة مفاجئة، انه لا يعرف حقيقة ذاته وأعماقه... وعواطفه!

ما هو سر هذا الرجل الطويل القامة، القاسى الملامح والبرونزى الوجه؟ لكى يتمكن فجأة من قلب حياتها رأسا على عقب؟ لماذا أصبحت أصبحت عواطفها الجياشة غير قادرة على التحكم بعقلها الراجح؟ لا يعجبها هذا الرجل، لا يعجبها فقط؟ انها تكرهه... فهو متغطرس ومعتد بنفسه، ولا يبالى بها ابدا. وتكرهه ايضا، لأنه جعلها تنساق وراء اوهام واحلام ولذائذ... رغما عنها... وهى فى طريقها للزواج من حبيبها. تكرهه، لأنه حول رحلتها الى مغامرة مأساوية. هل يعقل ان تحب المرأة رجلا بقلبها... وتتجاوب مع رجل آخر حرك فيها أشياء جديدة لم تكن تعرفها من قبل؟ كانت متأكدة من اى شىء.

تنهدت بقوة وانفعال شديدين. لن تتمكن الليلة من النوم، ولكنها ستحاول... ستحاول!

استيقظت سالى، عندما كانت أشعة الشمس الذهبية تنساب عبر

زجاج الكبينة المغلقة... وضوء الصباح يطرد جحافل الظلام وهمومه وعذابه. احست بآلام مختلفة فى ظهرها وبقية انحاء جسمها، مدت زراعيها، كما تفعل كل صباح فارتطمتا بزجاج النافذة... وتذكرت فجأة كافة احداث الليله السابقة.

رفعت رأسها وتطلعت حولها، ولاحظت انها كانت وحدها. متى غادر اندريه الشاحنة دون أن تحس به، وماذا يفعل الآن وفجأة فتح اندريه كونورز باب الشاحنة، فبدا نشيطا وقويا... ووسيما للغاية، سألها:

- هل نمت جيدا.

- كطفل صغير.

- عظيم. سيكون الفطور جاهزا بمجرد انتهائك من الاستحمام.

- الاستحمام؟

- لما الاستغراب؟ البركة التى شاهدتها امس تنتظرك بفارغ الصبر هيا، فأنت بحاجة ماسة للأنتعاش.

احمر وجهها عندما قالت له بتردد:

- لا... لا توجد معى... اى ثياب للسباحة.

لم يكن لدى انا ايضا اى شيء من هذا القبيل. تحركى فأمامنا مسافة طويلة جدا هذا النهار. هيا!

لم تسبح مرة واحدة فى حياتها بدون ارتداء ثياب السباحة، فكيف يمكنها الاستحمام بدونها الآن؟ واندريه لا يبعد عنها سوى بضع امتار! لن يتجسس عليها ، فهذا الامر ليس من شيمته... انها حقا بحاجة ماسة لدفعة جديدة من الحيوية والنشاط، وفكرة السباحة فى تلك

البركة الرائعة وقرب شلالها الجميل مغرية... مغرية جدا. تطلعت نحوه فشاهدت ابتسامته المرحة المشجعة التى توحى بأنه يفهم ما يدور بخاطرها من افكار متناقضة ومتصارعة. اعطاها منشفة كبيرة، فأخذتها بدون تردد... وتوجهت الى البركة.

كانت المياه باردة... ومنعشة، فسبحت وقفزت ولعبت. احست بسعادة بالغة ونشاط فائق، وهى تقف تحت ذلك الشلال المتساقط الصغير الرائع. وعدت نفسها بأنها ستكرر هذه الخطوة فى المستقبل، اذا سنحت لها فرصة

مماثلة... وتأكدت من وجودها بمفردها آه ما اعذب هذه الاصوات وما اروع هذه اللحظات!

وفجأة سمعت سالى صوتا آخر غير صوت خرير المياه وتغريد العصافير. سمعت نباحا! خافت ... لان وجود كلب فى هذه المنطقة يعنى ايضا وجود مزارع او فلاح او صياد. يجب الا يراها احد. لذلك اندفعت بسرعة نحو حافة البركة، وهمت بالخروج. اوه...

كان اندريه جالسا يحملق فيها بجراءة على صخرة قريبة، يحمل ثيابها بيد والمنشفة الكبيرة باليد الاخرى. احست سالى ان قلبها توقف عن الخفقان، والدماء تجمدت فى عروقها. كيف يجرؤ على التسلل هكذا؟ صرخت به:

- ابتعد من هنا! اذهب.

ابتسم وقال لها ببشاشة ومرح؟

- لن افعل ذلك.

- اريد الخروج من الماء و ...

- انا بانتظارك فتعالى هكذا.

كانت ترتجف حياء و خوفا... وبطريقة لم تعرف لها سببا او تفسيرا، ناشدته بصوت رقيق متوسل، لا يمكن الا لقلب من حجر أن يرفضه او يتجاهله:

- اندريه... لا يمكننى الخروج هكذا!

- هل تريدينني أن أخرجك بنفسى..؟

- اياك أن تقترب منى! ضع المنشفة قرب الصخرة، وابتعد من هنا كسيد مهذب.

لم يتحرك اندريه من مكانه. اللعنة عليه ستقلع عينيه من مكانهما إن تجاسر واقترب.. لماذا لا يذهب، فقد لا تتمكن من الصمود طويلا فى هذه المياه الباردة بسبب ملابسها الرقيقة وهذا ما حدث.. فقد بدأت اسنانها تصطك من البرد الشديد... فانهمرت دموعها.

- اخرجى، ايتها الصغيرة هيا!

- سأفعل ذلك، بمجرد ان تضع المنشفة على ...

- وهل تتصورين انك ستكونين عندئذ فى وضع افضل؟

اشار برأسه ويده اليمنى نحو الاشجار القريبة، فتذكرت فجأة صوت النباح. كانت الاشجار تمج بالقردة... هل تنبح القردة العادية؟ ام ترى يوجد بينها ذلك النوع من القردة الكلبية الشرسة، المسمى بالرياح او القردوح؟

- هل تعنى أننى فى خطر؟

- اما انا او القرود! اذا وضعت ثيابك على الارض، فسوف

تضطرين لتسلق هذه الاشجار كى تتمكنى من استعادتها.

لم يعد امامها اى مجال آخر. هل تناشد شهامته لكى يدير وجهه عنها، على الأقل، عندما تخرج من البركة؟ لن يفعل ذلك، فكلمة الشهامة غير موجودة فى قاموسه، ولكنها ستحاول... هذه هى فرصتها الأخيرة:

- ارجوك، يا اندريه، ان تبعد عيناك عنى لبضع لحظات!

- انت تعرفين الجواب، انصحك بالخروج فورا، والا فسوف تصابين بذات الرئة... وتشكلين عبئا اضافيا على كاهل جون، يكفيه ما لديه!

- لم يخطر ببالها أن تساله عما يعنيه بجملته الأخيرة، فأفكارها كلها كانت مركزة على كيفية الخروج من الماء عارية أمام هذا الوغد الوقح والوصول الى المنشفة. تبا لهذه الخطوة! انها اصعب خطوة فى حياتها...

٥- صراع المشاعر

لم تعرف كيف أقدمت على تلك الخطوة بكامل إرادتها... ولكنها فعلت، ونجحت. دون أن تدرى هل أشاح أندريه بوجهه عنها قليلا، ام انه راقبها وتأملها فيما كانت تركض نحو المنشفة؟ كيف لها ان تعرف ذلك، وهى لم تجرؤ... ولن تجرؤ على توجيه اى سؤال كهذا اليه!

لم تشعر مرة واحدة فى حياتها بمثل هذا الضعف والوهن، وباحتمال الانهيار امام رجولته الساحرة وجاذبيته المغرية. أحست بالدموع تحرق عينيها، فأخفت وجهها بالمنشفة لئلا يراها باكية ويتأكد من ضعفها ومدى هيمنته عليها.

تصورت انها سمعته يصفها بالفتاة الشجاعة، وتخيلت ان يديه الدافئتين لامستا شعرها المبتل. ان لم تبتعد عنه على الفور، فسوف لا تستطيع مقاومته و تصبح ضحية سحره وجاذبيته إلى الأبد. رفعت رأسها نحوه، فرأته يتأملها بعينين شبه مغمضتين. تجاهلت الصوت الداخلى الذى كان يطالبها بالهدوء... وقالت بمرارة:

- لست سيدا مهذبا.

- وهل انت سيدة مهذبة؟ هل تعتبرين محاولتك الفاشلة بالأمس لمنعى من دخول شاحنتى وتعرضى للبرد عملا شريفا وجديرا بالاحترام؟

ازداد ارتجافها، مع ان جسمها استعاد بعض دفئه وحرارته. واكتشفت فى الحال ان الارتجاف عائد الى نظراته... ويديه اللتين تمسكان بها. حاولت طرد هذه الافكار من رأسها، فالاعتراف بها سيكشف لها حقيقة ليست مستعدة للاقرار بوجودها. سألته بألم:

- انت تعاقبينى الآن، اليس كذلك؟

- اعاقبك؟ انت بالفعل بحاجة لعقاب أشد وأقوى. الا يمكنك الاعتراف ايضا باننى انقذتك من مشكلة كبيرة؟

- القردة

- هرعت القرود نحو الماء، بمجرد وصولك الى البركة. شاهدتها تقفز بين الاشجار وعلى اغصانها، وهى متجهة نحوك. يبدو ان اهتمام القردة تحول الى ملابسك الجميلة.

احمرت وجنتاها بسرعة، وقالت له متوسلة بصوت منخفض:

- دعنى وشأنى من فضلك.

- حسنا سيكون الفطور جاهزا خلال دقائق قليلة.

توجه نحو الشاحنة، وكأن شيئا لم يكن. أما هى اقتنعت نفسها اخيرا بأنها لم تكن لتقدم أبدا على مثل هذه الخطوة الجريئة المتهورة بالاستحمام بدون ملابس السباحة لو أنها شكت فى احتمال اقترابه منها ومشاهدته اياها على هذا النحو. كانت مقتنعة بأنه سيظل بعيدا عنها، لحين انتهائها من السباحة والاغتسال. هذا ما كان سيفعله جون فى ظروف مماثلة... وهذا هو الخطأ الجسيم الذى ارتكبته. فخطيبها الدمث الطيب المهذب ليس مقياسا لبقية الرجال، واندريه كونورز الثعلب الماكر المتغطرس المتعجرف هو اصدق دليل على صحة

هذا الكلام المنطقى.

ولكن وجود القردة واحتمال اقدامها على اختطاف ثيابها أو ايذائا، يبرران الى حد ما تصرف اندريه الصائب. لكن سالى، ليس مستعدة بعد لاستخدام موضوع القردة لتبرير أعماله وتصرفاته. هل هى حمقاء؟ هل يصوره عقلها وخيالها على هذا النحو الكريه، لمجرد أنها تكرهه! وهل يقدر فعلا على تحقيق كافة أعراضه ورغباته معها؟

لقد كانت حقا سخيفة وغبية! إذ كيف يمكن لأى رجل، حتى اندريه كونورز، اقناع مجموعة من القردة بالتوجه الى مكان استحمامها؟ انها تفكر بالقرود وبتصرفات اندريه... لئلا تركز اهتمامها على رد فعلها هى. يستحيل عليها بعد الآن اقتناع عقلها بانها سمحت لأندريه القيام بتصرفات معينة،لان الصدمة القوية المذهلة عقدت لسانها وشلت قدرتها على الهرب... او المقاومة... او حتى الاعتراض. ستكون صادقة مع نفسها وتعترف بأنها تمتعت بتلك الفترة القصيرة... وشعرت بسعادة فائقة. لكن كيف يقدر هذا الرجل البغيض على ايقاظ حواسها ومشاعرها الى هذه الدرجة المذهلة؟ و من اين هذا السحر الفائق الخطورة؟

تناولا طعام الفطور بصمت رهيب. لم تكن سالى راغبة فى التحدث معه، وخاصة لأنه ليس من ذلك النوع الذى تستهويه الاحاديث العادية. كان الطعام بسيطا، ولكنه شهى بشكل مدهش. حاولت الاكتفاء بفنجان قهوة وقطعة لحم صغيرة، عله يلاحظ نفورها واستياءها. الا ان السباحة وتلك الشرائح المجففة من لحم الغزال الافريقى الضخم الجميل، المسمى كودو، فتحت شهيتها الى درجة مذهلة... بحيث اكلت وجبة ما حلمت بمثلها من قبل .

لم ترفع عينيها عن الطعام فترة طويلة، ولكن مقاومة الاغراء

بالتطلع اليه ضعفت رويدا رويدا وتطمنت. رفعت رأسها نحوه، فالتقت نظراتهما وكأنهما جيوش جرارة تتحفز للانقضاض على بعضها، تحولت النار فى عينيه، الى اضواء كاشفة تقتحم أسوارها باغراء تصعب مجابهته. ركز أندريه نظراته فى بداية الأمر على وجهها، وبرقت عيناه عندما شاهد احمرار خديها وارتباكها. وما هى الا لحظات قليلة، حتى تحولت تلك النظرات الحارقة ببطء شديد الى عنقها... وكتفيها... وشعرها. لم تترك الاضواء الكاشفة شيئا الا وتفحصته بدقة وروية... بما فى ذلك تلك العروق التى كانت تنتفض بعنف فى عنقها. لا شك فى ان هذه النظرات الحادة قادرة تماما على اختراقها، وتعرية مشاعرها الحقيقة.

وعندما رفع رأسه لينظر ثانية الى عينيها، كانت سالى مستعدة للمواجهة والمجابهة. انها سيدة مهذبة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى، وبغض النظر عما قاله لها. لقد تصرف معها اندريه كونورز بطريقة غير لائقة، وبدون ان يأخذ بعين الاعتبار كونها مخطوبة الى رجل آخر... وكون ذلك الرجل صديقا مقربا له. اين إذن شهامته هل يعقل انه لا يتمتع حتى بالنذر القليل من الاخلاق الحميدة والنوايا الطيبة؟

لم يتأثر أندريه بنظرات الاشمئزاز والازدراء التى أطلقتها نحوه، بل ازداد خبثا... وامعانا بتعذيبها، مد يده الى شعرها، ثم قال لها بلهجة مرحة:

– حان الوقت لتنزلى من عليائك، اهتمى بالأمور هنا، حتى أهيىء الشاحنة للرحيل.

انه فعلا أفضل وقت للبدء بما تبقى من هذه الرحلة اللعينة فنسيم الصباح الباكر لا يزال قادرا على التخفيف من حرارة الشمس. تأملت سالى باعجاب واضح حقول التبغ وبساتين الحمضيات، وتلك الشلالات

والجداول التى تحيل هذه المناطق الحارة إلى سحر خلاب وجمال رائع اختفت البساتين والحقول وراءهما، وحلت محلها الادغال التى تزود البلاد بكميات ضخمة من الخشب. بدت السفوح ذات التربة الخصبة الغنية مكتظة بالاشجار العالية الكثيفة ذات الجذوع المستقيمة، وظهرت الجبال والوديان القريبة كدليل ساطع على روعة المنطقة.

عادت التساؤلات عن ماهية عمل اندريه تضج فى رأسها كفقير نحل، فهى لا تعلم الا ان له علاقة بالزراعة والمزارع. ولكن..ز ما هل نوع عمله بالتحديد؟ مهما كانت طبيعة عمله فلابد انه يتقنه ويجيده ومن المؤكد انه يطاع بدون تردد، وبصورة عمياء. ولا يقبل العمل تحت امرة احد، فهو يقود ولا يقاد... يمكنه التسلط على الآخرين واصدار ما يحلو له من اوامر وتعليمات، ولا يتوقع رفضا او مناقشة او تقاعسا. يتبعه الرجال طوعا، لثقتهم به اما النساء... فيهرعن اليه للارتماء على قدميه، سعيا لكسب وده وارضائه.

ولكن سالى وحدها... سالى الاندفاعية والسريعة الغضب، ستتحداه وتجابهه. لماذا تختلف عن غيرها من النساء، لماذا قررت مقاومته، وهى تعلم علم اليقين انه قوى وواثق من نفسه... ويتصرف بحكمة وحنكة؟ ثمة صفة فيه، فى شخصيته القوية، تشعل النار فى رأسها وتلهب مشاعرها واحاسيسها... بحيث تصطدم واياه حول كل نقطة او مسألة يتعرضان لها.

ظهرت أمامها فجأة شاحنة كبيرة، محملة بكميات ضخمة من جذوع الاشجار. الطريق ترابية ضيقة، والشاحنة تتمايل من هذا الجانب الى ذاك تحت وطأة حمولتها الثقيلة... واندريه يركز كافة اهتمامه على الاحتمالات الضئيلة لتجاوز الشاحنة ستتأمله الآن بدون

ان يلاحظ ذلك...

كان عليها ان تعرف مسبقا كيفية التهاب عواطفها، بمجرد النظر اليه. ارتعشت مشاعرها تجاهه فورا عندما شاهدت اصابعه الممسكة بالمقود، رفعت رأسها نحو وجهه، فلم يبد منظره الجانبى أقل غطرسة وعنجهية. انف قوى متناسق، ملامح قاسية، وذقن لا يعرف معنى الرقة والنعومة.

لاحظت لأول مرة هذين الخطين البارزين، اللذين يمتدان من اسفل انفه حتى حافة فمه. هل يدل هذان الخطان عادة على طبيعة مرحه تحب الابتسام والضحك؟ تساءلت باستغراب عن سبب عدم ملاحظتها لهما فى وقت سابق! هل يعود سبب ذلك الى انها لم تتوقع وجودهما فى وجه قاس كوجه، ام لأنها لم تربط مرة بين اندريه والضحك؟ لقد سمعته يضحك مرتين او ثلاثا، ولكن بصوت منخفض... وبتلك الطريقة المثيرة التى تضج سحرا واغراء. شاهدت عينيه مرات عديدة تلمع بمرح ساخر وسرور فيه بعض الخبث، ولكن خطى المرح اللذين يحيطان بفمه يوحيان بحبه الحقيقى للضحك والحياة... مع انها لم تسمع بعد الضحكة التى تأتى عادة مع وجود هذين الخطين. آه ربما كان يحتفظ بمثل هذه الضحكات النقية الصافية، والخالية من السخرية اللاذعة والقساوة المؤلمة. لشخص آخر... لامرأة معينة لا يشاركها ضحكاته فحسب، بل وأيضا افكاره واحلامه.

لم تكن مستعدة لهذا الخنجر الملتهب، الذى اخترق ضلوعها وغاص حتى قلبها. و تاملت بشكل اذهلها وصعقها، لذلك أرغمت نفسها بصعوبة بالغة على ابعاد نظراتها عنه وتحويلها الى النافذة. ولكن المناظر الطبيعية الخلابة على الجانبين فقدت بعض سحرها وجمالها، وبدت حزينة... مثلها... الى حد ما.

سرها كثيرا ان اندريه كونورز ليس قادرا على مشاهدة الدموع المترقرقة فى عينيها. انه يجمع فى ذاته كافة الصفات السيئة التى تكرهها وتحتقرها فى الرجال،وآخر شىء تريده الآن هو اطلاعه على مدى قدرته على ايلامها.

طوال الساعة الماضية كانت تتمتع بالرحلة وجمال الطبيعة الى درجة كبيرة، اما الآن فلم تعد ترغب الا فى الوصول بأسرع وقت ممكن إلى حوض التماسيح. انها بحاجة الى جون، والى الامان والسعادة وراحة البال التى لا يمكن لأحد غيره منحها اياها. وفى غضون ذلك، ستظهر لاندريه كونورز ان زجولته الساحرة وجاذبيته الهدامة لا تعنيان لها شيئا على الاطلاق.

تطلعت نحوه ثانية، وكانت هذه المرة شامخة الرأس وهادئة الأعصاب. سألته بصوت حاولت أن يكون عاديا الى أبعد الحدود:

- متى سنصل الى حوض التماسيح؟

أجابها دون أن ينظر إليها:

- بعد ساعة تقريبا.

ذلك المرح الساخر فى لهجته ونبرة صوته! تجاوز الشاحنة الأخرى فى تلك اللحظة بالذات، ثم استدار نحوها وحدق بعينيها. أحست انه كان يقرأ افكارها!لا، لا يمكن... مستحيل! ولكن هذا الشعور لم يفارقها، فسألته:

- هل لا نزال بعيدين الى هذه الدرجة؟

تأمل بريق عينيها الساحرتين واحمرار وجهها، ثم قال لها:

- تصورت انك تتمتعين بمشاهدة المناظر الطبيعية.

- كنت... اعنى اننى... اتمتع بها. الريف جميل للغاية.

ابتسم لها بهدوء، فاحست بشعور غريب! ما هى الخصائص الفذة التى يتمتع بها هذا الرجل غريب الأطوار، لتجعلها تشعر أمامه وكأنها فتاة بلهاء صغيرة وضعيفة؟

- انه جميل حقا.

لاحظت مجددا انه يحاول السخرية منها، فراحت تفكر بأنجح طريقة لاستعادة سيطرتها على الوضع القائم بينهما. ولكنه لم يمنحها الوقت الكافى، اذ سألها بصوت هادىء:

- متى شاهدت جون لآخر مرة؟

نظرت اليه بشىء من القلق، لأن تلك النبرة الغريبة فى صوته أزعجتها... على الرغم من كون السؤال بحد ذاته عاديا وبريئا.

قالت له:

- قبل عام مضى.

- ومنذ متى تمت خطبتكما..؟

- منذ عامين... ولكننا كنا نعرف دائما أننا سنتزوج. لماذا تسأل؟

- لقد انتظرتما فترة طويلة للغاية، فاستغربت اقدامك على المجىء الآن... وبدون اطلاع جون على مثل هذا القرار الجدى.

- هل تحاول الايحاء بشىء معين؟

- لماذا لم تخبرى جون بأنك فى طريقك إليه؟

- اردتها كمفاجأة سارة له.

www.elromancia.com

– الم تكونى خائفة من انه قد يرفض مجيئك، فيما لو عرف بالأمر مسبقا؟

عندئذ ثائرتها بسبب البرودة المتعمدة فى لهجته، فنسيت قرارها بالبقاء هادئة الأعصاب والتصرف بحكمة ونضوج. قالت له بحدة:

– خائفة؟ من جون؟ لا يمكن؟ لماذا هذا هذا الحقد كله، يا اندريه كونورز؟ مسحت دمعتين تدحرجتا رغما عنها على وجنتيها الحمراوين، واضافت قائلة:

– ماذا تقصد من وراء هذا الايحاء الصريح بأن جون لا يريدنى؟

– قليلا من الهدوء ارجوك.

ردت على جملته الآمرة... الناعمة بعصبية:

– كيف يمكننى ان اكون هادئة، أمام هذه الاهانات والكلمات القاسية الجارحة؟ انا وجون مخطوبان، وهو يحبنى ويريدنى معه.

لم يتأثر بانفعالها وعاد يسألها ببرودة مزعجة:

– لماذا تحضرين الآن بالذات ، يا سالى، وبدون اطلاعه مسبقا على رغبتك هذه؟

ارتاحت اعصابها قليلا لمجرد سماع اسمها، عوضا عن تلك التسمية الكريهة القطة الشرسة. اجابته بصوت حزين مرتبك:

– شعرت انه قد يكون... مريضا. رسائله... فى الفترة الأخيرة... لم تكن كلماته توحى... بالاتياح من المؤكد انه بحاجة الى. هل هو... مريض؟

– انه يتمتع بصحة جيدة، حسبما أعرف.

ها هو يستخدم ثانية لهجته الايحائية الغامضة، التى تزعجها وتثير

اعصابها.

قالت له وهى تتعمد إظهار هدوئها:

– انت تعتقد، على ما يبدو، ان جون لا يريدنى.

توقعت منه جوابا غاضبا وساخرا، ولكنه ادهشها جدا عندما سألها بصوت رقيق للغاية... مستخدما اسمها الاول مرة ثانية خلال دقائق:

– هل فكرت، يا سالى، من قبل انه قد تكون لجون مخططات اخرى؟ حدقت به مذهولة، وغير قادرة على تصديق ما سمعته اذناها. لقد عرفت اندريه منذ البداية متغطرسة جدا وقاسيا لا يشفق او يرحم، ولكنها لم تكن لتتصور ابدا انه يكرهها الى درجة تدفعه لمحاولة اذلالها بشتى الاساليب والوسائل. قالت له بلهجة حادة ومفعمة بالاحتقار والسخرية.

– لا! لا، لم افكر بمثل هذه المسألة من قبل ولو للحظة واحدة. انا احب جون واثق به، وهذا جوهر علاقتنا منذ ايام الطفولة.

ثم نظرت اليه بتحد صارخ، واضافت قائلة:

– انها علاقة لا يمكنك فهمها او تقديرها، يا اندريه كونورز. فانت شخص مغرور لا تحب احدا او تثق باحد، الا نفسك.

ابتسم برقة اذهلتها، وسألها:

– هل تعرفيننى الى هذه الدرجة؟

– الى درجة تكفينى، ولا أريد تجاوزها ابدا لأنك مجرد شخص عابر لا يمثل لدى أى شىء.

www.elromancia.com

انتظرت لحظة لتتأكد من وصول النصل السام الى نحوه، ثم مضت الى القول:

- اما بالنسبة لجون، فأرجو من صميم قلبى ان تكون اجابتى المتعلقة به كافية للرد على تساؤلاتك وحب الاستطلاع لديك.

هز منكبيه العريضين بكثير من اللامبالاة، ولكن نظراته التى وجهها اليها بشكل عابر اوحت باشياء كثيرة لم تفهمها... ولم تشهدها من قبل. الشفقة؟ لا، لا يمكن! التعاطف؟ ربما! ربما يشعر بتعاطف معها، ظنا منه انها فتاة ساذجة غير قادرة على التأقلم مع حياة البساطة. الا يمكن ايضا انه متعاطف مع جون... هذا هو السبب لتصرفاته العدائية تجاهها.

- انت تعتقد اننى لست الزوجة الملائمة لصديقك لجون، اليس كذلك؟

- صحيح.

حصلت سالى على الجواب الذى تتوقعه من اندريه كونورز، مع ان النبرة الجافة والحاسمة فى صوته أزعجتها وضايقتها الى درجة كبيرة. وعلى ذلك قررت ألا تمضى قدما فى هذا الحوار المثير للاعصاب، ولكن شعورا خفيا أرغمها على توجيه السؤال التالى:

- هل تعتقد اننى غير قادرة على تحمل قساوة العيش فى مثل هذه المناطق؟

- لا يمكن لكثير من النساء تحمل هذه الحياة.

احست بمرارة شديدة فى لهجته، فقررت متابعة الهجوم. رفعت رأسها بعزة وافتخار، قالت:

- ربما اكون مختلفة عنهن بعض الشيء.

أجابها بحسم:

- انت افضل من معظمهن، من حيث الشجاعة والتصميم وقوة الارادة.

الا يمكنه التحدث اليها، الا بهذه السخرية اللاذعة. ياله من وغد حقير. وقبل ان ترد سبقها إلى الكلام قائلا بلهجة اكثر صدقا وجدية:

- يتطلب العيش فى مناطق الادغال والغابات، قدرات فريدة ونادرة من اكثرية النساء. لا تدعى الحماس والرومانسية يخدعانك، يا سالى. ستجدين خلال فترة قصيرة جدا انك تتحرقين شوقا لاضواء المدينة ورفاهيتها.

- انت مخطىء فى تقديرك لى، وسوف أثبت لك عكس رأيك.

نظر اليها مجددا، فلاحظت ذلك الشعور بالشفقة. قال لها:

- هل ستتمكنين من ذلك؟ انا اعتقد العكس، ولكن وجودك فيها مرغوبا، وستصرين على ارتكاب هفوات كثيرة يمكنك تجنبها وتفاديها. وسوف تشعرين عندئذ بوقع المفاجأة المرة، عندما ينتهى بك المطاف محطمة القلب مهشمة الفؤاد.

- تأملته بذهول شديد، وغضب عارم. إذ لم يعد خافيا عليها انه يريد تعذيبها وايلامها، وأن عليها تحصين نفسها فى وجه سهامه الغادرة. ومع ذلك، فهو لا يزال قادرا على إنهاكها طوال الوقت واصابتها بجراح بالغة... وكلما قرر مهاجمتها. فلن تسكت وسترد له الصاع صاعين...

- مهما سيحدث لى، فلن استنجد بك وأبكى على كتفيك!

ها هى تسجل نقطة لصالحها... تربح معركة فى حربها الشرسة

www.elromancia.com

معه. اعجبها تلبد وجهه بملامح الانفعال والاستياء، فالسهم الذى اطلقته اصاب مرماه. ادارت وجهها عنه، اذا لم يعد هناك على ما يبدو اى مجال او ضرورة لحديثهما المشبع بالمرارة.

كانت تشتعل غضبا وتشعر بتوتر هائل يكاد يمزق اعصابها، على الرغم من قرارها عدم افساح المجال امام عنجهيته واعتداد بنفسه لأزعاجها أو التاثير عليها. فكيف يجرؤ هذا اللعين على التحدث اليها بهذه الطريقة؟ كيف يوحى لها بأن جون قد لا يكون راغبا فى حضورها اليه... وهو الذى يخطط منذ سنوات لزواجهما المرتقب.

اوه! الآن عرفت السر الحقيقى الكامن وراء تصرفات اندريه كونورز العدائية تجاهها! لا شك فى ان احدى النساء آذته الى درجة كبيرة، فى فترة ما من ماضيه... وانه بدا يعامل جميع بنات جنسها بهذه العنجهية والمرارة والحقد نتيجة لذلك.

عاد الهدوء تدريجيا الى اعصابها، فأخذت تتأمل بارتياح الطبيعة ومناظرها الخلابة بدت الطريق الترابية، وكأنها الحد الفاصل بين الاراضى المزروعة... ومناطق الغابات والادغال. تهللت فرحا وسرورا، فقد احست بالغريزة انها اقتربت من حوض التماسيح... وخطيبها جون الحبيب. نسيت تعاليها، فاستدارت نحو اندريه بصورة عفوية وسألته بشىء من اللهفة والحماس:

- هل وصلنا الى حوض التماسيح؟

وجه اليها نظرات خالية من الغضب والتهكم، وقال لها بصوت هادىء... وكأنه نسى كلماتها القاسية العنيفة:

- لا، ولكنها منطقة مماثلة. سنمر على بضع مناطق لتجمعات الحيوانات البرية ،ومنها الحديقة الوطنية التى تضم افضل اكبر

مجموعة من هذه الحيوانات النادرة.

آه، هذا هو المكان الذى كان جون يحلم بالعمل فيه... ولكن العرض الخاص بحوض التماسيح كان سخيا للغاية فلم يتمكن من رفضه. وتساءلت سالى ضمنا عما اذا كانت ستفضل الحياة فى هذه المنطقة التى تزدحم بالعمال والموظفين والسياح، على العيش فى حوض التماسيح البعيدة والنائية! لا، لن تهمها الوحدة والعزلة فى حوض التماسيح طالما انها ستكون مع جون هذه هى الحياة التى اختارها... وهذه هى الحياة التى تستقبل بها وتتأقلم معها. ستعتاد عليها بلا شك شيئا فشيئا بالرغم من مصاعبها وقسوتها واخطارها، فهى الحياة التى يحلم بها جون منذ صغره. شاهدت فجأة مجموعة من الغزلان تقفز وتلعب بين الاشجار، فحرك المنظر الجميل فى نفسها مشاعر السكينة وحب الطبيعة. هتفت بارتياح واضح، وعفوية صادقة:

- اوه، كم هى رائعة!

وجه اليها مجددا تلك النظرات، التى تجعلها تشعر بأنها صغيرة... وسطحية الى حد ما واكتفى بالقول انها حيوانات جميلة. لماذا يحاول هذا الرجل الوقح العنيد استغلال كل فرصة تتاح له، ليحط من قدرها ويؤذيها... وبمثل هذه السلبية التى لا تطاق؟ احست بانها على وشك توجيهه ملاحظة سخيفة فحاولت خنقها فى المهد ولكنها فشلت دفعتها قوة غامضة لم تقاومها الى القول:

- انا متأكدة من انك تفضل الأسود فقسوتها تعجبك وزئيرها اغنية رقيقة تدغدغ اذنيك واحاسيسك.

ابتسم وقال:

- انت ذكية جدا لكى تتمكنى خلال يومين فقط من اكتشاف خبايا

www.elromancia.com

نفسى وافكارى الى هذه الدرجة. تصورى كم ستبلغ معرفتك لى بعد اسبوع! إنك بالفعل فتاة مدهشة.

لعنت سالى الاحمرار الذى ضج فى خديها، وردت عليه بسخرية لاذعة:

- يكفينى تماما ما عرفته عنك حتى الآن، يا اندريه كنورز.

نظر اليها بطريقة كادت تجمد الدماء الحارة فى عروقها وسألها بسخرية شديدة اثارت سخطها وحمقها:

- هل انت متأكدة من ذلك؟

لن تجيبه هذه المرة، لأنه سيحطمها! ذمت شفتيها بعصبية بالغة، ابعدت وجهها عنه باشمئزاز واضح سمعت ضحكة خفيفة وراءها، توحى بأن سائق الشاحنة شعرت برد فعلها وادرك ما يجول فى عقلها وتفكيرها. ما بالها تعود الى تلك الافكار السخيفة الغبية، وتتخيل هذا الرجل اللعين طبيبا نفسيا او خبيرا فى علم الفراسة؟ انه لا يستحق ابدا هذه المواصفات ولا يملك الذكاء الكافى للتمتع بهذه الصفات والمزايا ولكنها تشعر بقوة شخصيته وتأثيره عليها، حتى على الرغم من التصاق عينيها بالنافذة القريبة منه . كيف إذا يمكنها تحصين نفسها ومشاعرها فى وجه هذا الرجل...؟

ناشدته صامتة ان يوصلها الى حوض التماسيح ... وان يدعها وشأنها. صرخ عقلها:

- ابتعد عنى وعن حياتى. لا اريدك قربى... جسما او فكرا او عاطفة.

لكن... هل تريد ذلك حقا؟ انها ليست متأكدة على الاطلاق! تبا لها.. ولعواطفها المجنونة، وتبا لهذا الرجل الذى يعذب مشاعرها ويؤلمها، ويجعلها تحلم احيانا بأمور لم تكن تتصورها!

٦- فى حوض التماسيح

- سالى...

لو ناداها القطة الشرسة، لكانت تجاهلته. ولكن صوته حمل نبرة حانية حثتها على النظر نحوه والاصغاء اليه. اشار الى يمينها، وقال:

- هناك ! هل ترينها؟

- ما هى؟ اين؟

مرت لحظات وجيزة، قبل أن تشاهد مجموعة كبيرة من النقاط السوداء تتحرك على علو شاهق سألته مرة أخرى:

- عصافير؟

- نسور.

كانت تعرف أهمية طيور الجيف هذه، فقالت:

- اوه! هل تنتظر ضحايا جديدة؟ عندما تنتهى الأسود من اشباع بطونها، يأتى دور النسور.

- لقد علمك جون الكثير.

ثم التفت نحوها، وأضاف قائلا بلهجة تحمل شيئا من التهديد والوعيد:

www.elromancia.com

- هل تعلمين انها تهاجم أيضا الصغار والمستضعفين؟

لم تجبه، اذ لا حاجة للإجابة على مثل هذا السؤال. ولكن جسمها ارتجف خوفا، وأحست بأن اندريه لا يعنى فقط الحيوانات الصغيرة الضعيفة. هل يحتمل بأنه يوحى بأمكانية اقدام عقاب على مهاجمة شابة قوية مثلها؟ لا، هذا غير ممكن اطلاقا! ومع ذلك... فكلماته تحذيرية مزعجة، تزيد من رغبتها فى الوصول الى منطقة حوض التماسيح ، بأسرع وقت ممكن.

وفجأة... ظهرت أمامها الكلمتان اللتان تنتظرهما بفارغ الصبر. حوض التماسيح! تأملت بسرور بالغ الكوخ الجميل، المبنى من خشب الصنوبر، والزهر الأحمر الرائع الذى يغطى جدرانه. وما أن أوقف اندريه الشاحنة امام الكوخ، حتى فتح الباب رجل بادر الى القاء التحية بمودة وحرارة.اوه، لا شك فى ان اندريه زائر مألوف ويحظى بمحبة الناس هنا واحترامهم.

تبادل الرجلان بضع كلمات ثم... عادت عجلات الشاحنة الى الدوران من جديد. ثمة اسئلة كثيرة تريد توجيهها الى هذا الرجل، ولكنها سامت من التعرض للامبالاة والردود الساخرة والقاسية. وعلى الرغم من ذلك، فقد جازفت بالنظر اليه . قال لها بلهجة رقيقة ناعمة لم تتوقعها هذه المرة:

- يقع المخيم على بعد ثمانية كيلو مترات.

لم تزعجها كلماته التى نطقها بهدوء. فقد بدا وكأنه يتوقع صدمة قاسية لها... ويستعد لمساعدتها لذلك فقد امتنعت عن التعليق على كلامه، وادارت وجهها عنه... حزينة متألمة. ها هى تفسح له المجال مجددا، ليتمكن من التأثير عليها... حتى أن أبسط ملاحظاته تأخذ

أحجاما أكبر بكثير مما تستحقه. ما هو هذا السر الغامض، وكيف يمكنها تفسيره أو تحليله؟ كيف يستطيع رجل تكرهه أن يؤثر عليها بهذه الطريقة المذهلة؟

مهما كان السبب، فسوف يصبح اندريه عما قريب أمرا منسيا لا أهمية له على الاطلاق. لن يتمكن اندريه بعد الآن من التسلل الى عقلها وأفكارها! ستطرده حتى من أحلامها! سوف تركز كل اهتمامها وانتباهها على جون، وزواجهما المرتقب، واستقرارهما فى بيت جديد وحياة جديدة هانئة. ستصل بعد دقائق الى خطيبها... كم هى سعيدة بقرب انتهاء هذه الرحلة... رحلة الأرق والامل... والاحاسيس المجنونة! ستصل بعد قليل... وتنساه الى الأبد!

ارتعشت يداها فجأة، وشعرت بألم يعصر قلبها. لماذا كل هذه المحاولات الجادة لاقناع نفسها بهذا الأمر؟ لماذا تتمنى عدم انتهاء هذه الرحلة؟ اللعنة على تلك العواطف الجفية والاحاسيس الغامضة! الا يمكنها طرد هذه الافكار المجنونة؟ لماذا لا تحاول تركيز اهتمامها على الغزلان التى تسرح وتمرح فى هذه البرارى الكثيفة، أو حتى على تلك النسور التى تحوم فوق احدى التلال القريبة؟

لمحت زرافة، فاوقف اندريه الشاحنة كى تتمكن من رؤيتها عن كثب. اخذتها بادرته الطيبة على حين غرة، اذ لم يظهر فى تصرفاته معها قبل ذلك اى نوع من الاهتمام الحقيقى بها أو برغباتها. وجهت اليه ابتسامة شكر على هذه الخطوة الاجابية النادرة، ولكنها لم تتوقع منه ان يرد على ابتسامتها بالمثل... فهذا الامر ليس من طبيعة هذا الرجل المتعجرف الذى تجلس إلي جواره. الا انها لم تكن تنتظر ايضا تلك النظرة المجهرية الفاحصة، التى جعلتها تشعر بضعفها أمامه...

أغمضت عينيها، وأبعدت وجهها بسرعة عن الزرافة الجميلة.

لو كانت الظروف عادية، لظلت تتأمل هذا الحيوان الجميل فترة طويلة. ولكن المنظر الرائع فقد رونقه وبهجته وحلت الدموع الحارة محل نظرات الاعجاب والارتياح. آه من هذه العاطفة التى اشتعلت فجأة فى أعماقها... الرغبة فى البقاء معه.

ارتاحت قليلا عندما غادت الشاحنة الكبيرة الى التحرك، ولكن توتر اعصابها لا يزال على اشده. هل يحتمل انه لا يشعر بهذا التوتر؟ الا يعقل أن يكون هذا الشعور بالانفعال والتشنج مقتصرا على أفكارها... وخيالها لقد صرخ بها عقلها بعنف، مطالبا اياها بالتعقل... ويطرد هذه الأفكار الشريرة. حيث ستصل بعد قليل الى المخيم، وعندئذ عليها التأكد مسبقا من عدم قدرة جون على اكتشاف ما يجول فى خاطرها من افكار سوداء. وإلا فكيف سيكون رد فعله اذا علم بمدى تأثير رجل آخر، والى هذه الدرجة المذهلة على خطيبته التى سيتزوجها خلال ايام معدودة؟ ألن يشعر بصدمة رهيبة، اذا تبين له أن مجرد وجود اندريه كونورز... يحرقها ويذيبها ويطحن مشاعره أيضا..؟

حللت الموضوع بموضوعية وعقلانية، فلم تجد أى سبب يدعوا للإفشال الصداقة بين جون واندريه . من المؤكد أن لهذا الرجل اللعين القوة والقدرة على عواطفها. التقته قبل يومين فقط. إلا أن تسللها الى شاحنته هو الذى أشعل الفتيل. هل كان ممكنا تصور كافة هذه الأحداث المتلاحقة؟ هل كانت تتخيل قبلا مدى امكانية تجاوبها مع رجل كاندريه كونورز أو أى رجل على الاطلاق؟

ولكن رحلة المصير بدأت تشرف على نهايتهما! ولولا تحديد السرعة القصوى فى هذه المناطق بخمسة وثلاثين كيلو مترا فى

الساعة، لكانت الآن مع جون تنعم بحبه وحنانه... بعيدا عن هذا المغرور المتعجرف الشرير. ستركز اهتمامها على المستقبل الذى ينتظرها مع جون، وسوف تذول بالتالى ذكريات هذه الرحلة المشؤمة... وتفاصيلها وحتى لو التقت بأندريه مستقبلا، فأنها ستتصرف معه بطريقة طبيعية للغاية... ولن تترك جاذبيته تؤثر فيها مرة أخرى. واذا أشار إلى الرحلة من قريب أو من بعيد، فسوف يضحكان كثيرا بروح مرحة... وعلى سبيل الترفيه والتسلية. لن تكون هناك ذكريات اليمة حزينة، أو أحلام مزعجة... أو حتى أحلام يقظة. لا تحدث هذه الأمور عادة إلا مع الذين يحبون... فكيف يمكنها هى بالذات الوقوع بحب رجل تحتقر جميع صفاته وتصرفاته!

تحليل منطقى! اذا، فالماذا العذاب والألم؟ وظهر المخيم المنشود فى فسحة من الأرض تشرف على النهر. كانت صغيرة جدا عندما زارت الحديقة الوطنية وهناك بعض الذكريات القليلة لا تزال عالقة فى ذهنها. قرأت مرات عديدة وصف جون التفصيلى لمخيم حوض التماسيح فصورته فى عقلها على شاكلة المخيمين الذين أقامت فيهما مع والديها عندما حضر الثلاثة لتمضية اسبوعين فى أدغال أفريقيا. تخيلته مجموعة من القرى الصغيرة، تضم مخزنا ومطعما ومحطة صغيرة للسيارات توقعت ان يكون مخيم حوض التماسيح آخر موقع للمدينة فى هذه المناطق النائية!

تطلعت حولها بما يشبه الصدمة وأخذت تتأمل بذهول ودهشة المكان الذى سيصبح بيتها... وقد تضطر للعيش فيه طوال عمرها. كانت تنتظر مخيما صغيرا... ولكن... ليس إلى هذه الدرجة المزرية. شاهدت المبنى الأساسي، فأعجبها الى حد ما شكله المستطيل الجميل ونوافذه الكبيرة... التى يقترب منها الحيوانات عندما تقتصد النهر

القريب للشرب أو السباحة، إنه بالتأكيد مخصص للسياح الذين يقصدون هذا المكان لم يكن حوله أو قريبا منه إلا ثلاثة بيوت أصغر حجما، لابد وأن يكون احداهما مخصصا للأعمال الادارية... والثانى لنوم العمال... والثالث...

لا، لم تتوقع عزلة مرعبة كهذه! هى المخطئة فى تخيلها لمخيم حوض التماسيح كنسخة مصغرة عن المخيمين الآخرين، الذين زارتهما منذ سنوات عديدة. لم يحاول جون أبدا حملها على الاعتقاد بأن مخيمه يختلف عما هو عليه الآن، وبأن الحياة ستكون أقل صعوبة مما تبدو لها فى هذه اللحظات. لم يرغمها أحد على الحضور، ولم يخدعها جون باتخاذه قرارات مفاجئة كانت تعرف تماما أن هذا هو الخط الذى اختاره لنفسه منذ الصغر، وانه لم يكن لديها أى مانع أو اعتراض على ذلك. حضرت بملء ارادتها وبناء على تفكير طويل وتصميم سابق لأنها تحب جون ولا يمكنها تحمل الحياة وهى بعيدة عنه واذا كانت لهذه الوحدة أو العزلة سيئات كثيرة فحسنتها الوحيدة تمحو جميع سلبياتها وعيوبها ستعمق العلاقة القائمة بينهما وتجعلهما أكثر متانة وديمومة.

فى تلك اللحظات أحست سالى بأن أندريه يحدق بها ، فرفعت رأسها نحوه لتصطدم. كان يتأملها بحنان يوحى بالتعاطف معها... وكأنه شعر بصدمتها وانقباض نفسها. سارعت لإفهامه بأنه واهم فى تفكيره وتصوراته، فسألته ببهجة وهى تشير الى الكوخ الصغير الذى صنع رأسه من القش:

- هل هذا هو المكان المخصص لاقامة جون؟

أجابها بتردد:

- نعم.

- اذن...

ترددت لحظة ثم أضافت وهى تجاهد لإخفاء اضطرابها:

- سأنزل امتعتى وأضعها هناك.

لم تخبره أن معنويتها أصبحت فى الحضيض بسبب الصدمة المزدوجة، لأنه سيسخر منها ويودعها بمثل ما استقبلها من عنجهية واذلال. يا لسخافتها وجهلها! انتظرت أن يسارع جون لاستقبالها، لتهدأ قليلا... وتثبت لهذا الوغد فداحة الخطأ الذى ارتكبه عندما أوحى لها بأن خطيبها لا يريدها. ولكن... كيف يمكنها توقع ذلك، وهذا هو وقت العمل بالنسبة الى جون؟ مدت يدها نحو اندريه، وقالت:

- أشكرك جدا لأنك أوصلتنى الى هنا. سيكون جون أيضا ممتنا لك.

لم يصافح اندريه اليد التى مدتها نحوه بصدق واخلاص، فأعادتها الى مكانها وهى تشعر بالمزلة والاهانة. لاحظت أنه لا يزال يتأملها ولكن بطريقة مختلفة لم تستطع ترجمتها. لو كان هذا الرجل أى شخص آخر غير اندريه كونورز، لأعتبرت هذه النظرات دليلا على الرضا... أوحتى الاعجاب. إلا انه ليس شخصا آخر، وبالتالى فهو لا يعرف كلمت اعجاب أو معناها. لامت نفسها فى صمت وأحست بالغضب.. إذ كيف تسمح لنفسها لتوقع الاعجاب من رجل لا ينظر اليها الا باحتقار وشماتة؟ أبعدت نظراتها عنه بسرعة كيلا يكتشف مشاعرها أو يقرأ أفكارها، وقالت له بلهجة حاولت اظهارها الى أبعد الحدود:

- سأنزل امتعتى.

همت بفتح الباب فمنعها قائلا:

- لنعرف أولا أين هو جون.

أرادت مطالبته بعدم الاهتمام بها وبشؤونها الخاصة لأنها قادرة تماما على معالجة أمورها بنفسها. ولكن عزلة المخيم الرهيبة منعتها من ذلك، وأجبرتها على السير معه نحو ذلك الكوخ الصغير. وجدا الباب مفتوحا، فتنحى اندريه جانبا ليدعها تدخل قبله.

يا لسخرية الأقدار! فليست هذه هى اللحظة التى تحلم بها منذ فترة طويلة... لحظة عبورها الى بيتها الزوجى الجديد. كانت تمضى لياليها بكاملها، وهى تتصور اللقاء الرائع وترسم تفاصيله السعيدة فى مخيلتها. دهشت جون، فرحته العارمة، استعجاله بالذهاب الى أقرب رجل دين لمباركة زواجها وعودتهما على جناح السرعة الى جنة الأحلام والسعادة، كان سيحملها بين ذراعيه، ويعبر بها عتبة بيت المستقبل بحب وحنان. تبا لهذه الظروف!

فبدلا من ان تكون الآن مع جون، تجد نفسها واقفة قرب رجل غريب يتفجر رجولة وجاذبية. وبدلا من أن تبدأ منذ هذه الحظات بنسيانه وتركيز اهتمامها على بيتها الزوجى ها هى تشعر مرة أخرى بتلك النار المتأججة فى داخلها... بماذا يقيدها هذا الرجل وكيف تمكن من السيطرة على عواطفها بهذا الشكل؟ استدارت نحوه لتعرف رد فعله على مشاعرها فلم تشاهد فى نظرات أو تعابير وجهه ما يشير الى أنه مهتم بما يجول فى خاطرها من افكار متصارعة وآراء متضاربة.

تعمدت الهاء نفسها بالتطلع حولها، علها تجد فى هذا البيت الصغير السلوى والعزاء... والقليل من راحة البال. لاحظت وجود غرفتين فدخلتهما الواحدة تلو الأخرى، أعجبتها نظافتهما، ولكن الفوضى... آه ما أروع هذه الفوضى، لأنها ذكرتها به... ونقلتها من

الخيال الى الواقع ومن مجرد التصور الى الحقيقة الأكيدة. أوه، كم تحبه! كادت تنسى كل شئ خلال اليومين الماضيين، بسبب هذا العملاق السخيف المتعجرف... اندريه كونورز! ولكن وجودها الآن فى بيت جون... فى بيتها أيضا جعلها تدرك فجأة مدى حبها لخطيبها وشوقها اليه. هكذا تقزم اندريه أمامها فجأة، فابتسمت بارتياح وقالت:

- يمكنك أن تتركنى الآن. سأنتظر جون هنا لحين عودته.

- سأتركك عندما أجد الفرصة مناسبة لذلك.

غادر الكوخ الصغير ليبحث على ما يبدو عن جون أو أحد الرجال الذين يعملون معه. اراحها غيابه المؤقت قليلا، فقررت القاء نظرة هادئة على بيتها الجديد. كوخ صغير يضم غرفتين فقط وليس فيه الا الضروورات الأساسية أنه لا يناسب إلا عازبا ليست لديه متطلبات كثيرة ومتعددة.

تساءلت للمرة الأولى بجدية عما اذا كان وصولها هكذا بشأن مفاجىء، خطوة سليمة أليس من المحتمل أن جون كان يخطط لبناء بيت كبير لهما قبل اقدامهما على الزواج؟ ربما... ولكن صغر هذا المكان لن يشكل عائقا امام سعادتهما. ستحوله الى بيت حقيقى... ستطلب ستائر جديدة، ستضع سجادة ملونة على الأرض، وستستبدل السرير الصغير بآخر مزدوج. اما فى غضون ذلك... ماذا يهمها اكثر من الزواج، والعيش مع حبيبها جون بسعادة وهناء!

ولكن العزلة القاتلة فى هذه المنطقة المتوحشة... آه منها، انها المشكلة الكبرى! ماذا ستفعل طوال النهار، أثناء وجوده فى العمل؟ ستنتظر عودته على أحر من الجمر، وستعوض أثناء الليل عما يفوتها خلال النهار! ماذا عن الآن؟ هل تبدأ بافراغ حقيبتها وكيسها؟ سمعت

www.elromancia.com

حركة قرب الباب، فالتفتت بسرعة لتشاهد رجلا طويل القامة عريض المنكبين... يتأملها بتمعن واغراء. سألته بلهفة:

- هل وجدت جون؟

- لا، ولكنى أعرف مكان وجوده.

أفزعتها نبرة صوته الباردة، ولكنها سيطرت على أعصابها وقالت:

- عظيم رائع! اذن... الوداع ،ياندريه.

- لا،يبدو اننى مضطرب لأخذك معى بعض الوقت

- ماذا؟

- ستأتين معى.

حدقت به مذهولة... لا تصدق عينيها أو اذنيها ، ولم تعد تسمع سوى نبضات قلبها المتسارعة، وأنفاسها المتقطعة. سألته بصوت مرتجف :

- هل... هل حدث شيء... لجون؟

- لا، انه يقوم برحلة تفقدية استطلاعية.

تنفست الصعداء، ثم تنهدت وقالت:

- اوه... لا بأس اذا. سأنتظره هنا لحين عودته.

- لن يعود هذه الليلة هيا، يا سالى، تحركى.

- هل ستأخذنى الى فندق؟

بدا اندريه، وكأنه متضايق من تصرفات هذه الفتاه الصغيرة. نظر اليها وقد نفذ صبره وقال محتداً فى سخرية:

- فندق! سأخذك الى مزرعتى.

- لا! لا، لن اذهب معك!

- بل ستأتين معى يا صغيرتى.

إن لم يكن تعود منها من قبل على العصيان والتمرد، فهذا ما ستفعله الآن. رفعت رأسها فى تحد بالغ، وقالت:

- لا يمكنك ارغامى على ذلك.

- متأكدة.

كان صوته ناعما... ولكن اليدين اللتين انقضتا بسرعة رهيبة على ذراعيها وأمسكتا بهما، كانتا بعيدتين كل البعد عن الرقة والحنان والشفقة. جذبها نحوه كفراشة صغيرة، وبدون أى عناء أو كلل وقال لها:

- ستفعلين ما أقوله لك وبدون نقاش.

حاولت عبثا التخلص منه، وهى تقول بصوت مرتعش:

- لا! لا أقدر على ذلك!

- يا لك من مزيج غريب من البشر، لا يمهلك أبدا التسلل الى شاحنة انسان لا تعرفينه... وبعد ساعات طويلة معه، تتراجعين بغضب عارم لمجرد التفكير لتمضية ليلة واحدة داخل منزله.

همست بصوت يفيض كرها وحقدا:

- لماذا تتحدث بمثل هذه السفالة عن كل شيء؟ انك أخبث و أحط انسان عرفته فى حياتى!

- وأنت بالتأكيد اكثر الناس سخافة وغباء.

اعتقد أننى تصرفت بغباء من قبل، ولكنى لست مضطرة أبدا لزيادة الأمور سوءا

www.elromancia.com

- صحيح، ، ولهذا فعليك أخذ أمتعتك والتوقف عن اضاعة وقتى.

هزت رأسها بعزة واياء قائلة:

- لن أتحرك من هنا شبرا واحدا.

- سأمهلك دقيقة واحدة لا غير .

ماذا سيفعل فيها لو تحدته وتمردت عليه؟ أعجبتها الفكرة الى حد ما، فقالت له:

- لا يمكنك إجبارى على الذهاب معك!

- هل ترمين قفاز التحدى والمبارزة فى وجهى؟

ضمها نحوه بسهولة فائقة على الرغم من محاولاتها الفاشلة للتخلص منه، ثم قال لها بلهجة ساخرة:

- استغرب اذا كانت لدى جون أى فكرة على الاطلاق عما سيواجهه معك فأنت فتاة جافة متمردة.

يا لقسوته... وتعجرفه! انه يعاقبها ويحاول اذلالها ليثبت لها من هو السيد المطاع! ولكن قربها منه على هذا النحو، جعلها تنسى كرهها له... وعندما أنزلها من بين يديه، نظرت اليه كمتوسلة. وأحست بأن الدماء نبضت فى عروقها، وحاولت دراسة ملامح وجهه والدخول الى اعماق عقله وتفكيره، ولكن قناعا غريبا أفشل محاولاتها ورد نظراتها على أعقابها. تطلعت الى عينه فلم تفهم منهما شيئا، بسبب تلك البرودة الرهيبة التى تغطيهما. نظرت الى فمه، فرأته يتحرك بطريقة مرعبة... وسمعت صوتا ساخرا يخرج منه كخنجر حاد:

- أظن انك أصبحت مستعدة الآن للذهاب، أليس كذلك؟

ثارت ثائرتها بشكل لم تعرف له مثيلا فى أى وقت مضى، وأحست

برغبة جامحة لتوجيه صفعة قاسية اليه. كيف يجرؤ على معاملتها هكذا! كأنها قطة صغيرة لا حول لها... يلعب بها ويغيظها متى شاء، ثم يرميها بلامبالاة. انه يعرف بالتأكيد ان لديه القدرة على إغاظتها وازعاجها، ويستغل هذه القدرة لتحطيمها... لمعاقبتها على التسلل الى شاحنته والتجرؤ على السفر الى شخص يعتقد انها لا تناسبه. ستذيقه لأول مرة فى حياته طعم الرفض والتحدى . قالت له بلهجة باردة:

- لا لا، لن أذهب معك! هل تظن ان هذا العرض الصغير التافه الذى قدمته لتوك، سيغير من موقفى؟

نظر اليها بعينين تشتعلان نارا، ثم اقترب منها مجددا وقال:

- يبدو انك تفضلين أساليب العنف ولكنك لا تعرفين تماما ماذا تعرفين يا صغيرتى.

- فشلت جميع محاولاتها لمقاومته، فهو يتمتع بقوة هائلة. جرها الى خارج الكوخ بمنتهى القسوة والعنف، ثم رماها داخل الشاحنة غير مبال بصراخها ثم قذف أمتعتها الى الصندوق الكبير، وقفز بسرعة الى مكان السائق ادارت وجهها عنه، كيلا يرى الدموع الحارة التى تترقرق من عينيها كانت دموع سخط يائس، وليس دموع ألم واشفاق على الذات. اغضبها قساوته ووحشيته... وأغضبها أكثر من ذلك نفسها ومشاعرها الضعيفة الخائنة. فمع أنها تكرهه بسبب معاملته الخشنة لها، إلا انها كانت مطيعة وصاغرة له. لقد حدث لها شئ ما فى اليومين الاخرين شئ لا تعرفه أو تقدر على تحليله وتفسيره... شئ تحتقر نفسها بسببه. ولكن... لماذا هذا الضعف الشديد أمامه؟

سألته بعد ما جففت دموعها والتقطت أنفاسها:

- إلى أين ستأخذنى الآن؟

www.elromancia.com

- الى بيتى. ألم أقل لك ذلك؟

- ماذا سيقول جون عن هذا الامر؟

- هل تسألين عما اذا كان سيدعونى الى المبارزة والقتال، لأننى أخذتك الى بيتى؟لا يا عزيزتى لن يفعل جون ذلك بل سيكون سعيدا لأننى قمت بالشئ الوحيد المحتمل فى مثل هذه الظروف.

سألته بصوت هامس حزين:

- لماذا؟ لماذا لم تتركنى فى مخيم حوض التماسيح؟

- لان ما من انسان، حتى انا، يمكنه السماح لطفلة غبية مثلك بالبقاء وحيدة فى مخيم منعزل داخل منطقة تعج بالحيوانات الضارية. هذا هو السبب.

- انا قادرة على الاهتمام بنفسى.

- أنت لا تعرفين طبيعة هذه المناطق على حقيقتها؟

هزت رأسها نفيا، وقالت:

- ولكننى متأكدة من قدرتى على معالجة مشاكلى بدون الاستعانة بأحد. فأنا مضطرة لتعلم ذلك، عاجلا أم آجلا. ثم ... لا شك فى أن المنطقة ليست خالية من الناس تماما.

- ليس فيها الآن أى انسان على الاطلاق.

- ضيوف سياح... عمال...

- لا أحد أبدا. انها منطقة يحافظ عليها مالكها حبا بها وبحيواناتها وليس بسبب الارباح الضئيلة التى يحصل عليها من السياح.

دهشت واحتارت فيما يقوله لها هذا الرجل. علقت بصوت متردد:

- ولكننى تصورت... قال لى جون فى رسائله أن السياح يحضرون الى هنا لمشاهدة الحيوانات والتقاط الصور لها.

- صحيح، انهم يأتون بالفعل الى المنطقة، ولكن بأعداد قليلة وفى فترات متقطعة. ثمة فرق كبير بين حوض التماسيح والحديقة الوطنية، ياسالى.

أوه، كم يؤثر عليها نطق اسمها على هذا النحو! قالت له:

- أعرف ذلك. ولكن، أين بقية الحراس؟

- مع جون.

اذا... كان تصرف أندريه معها بداعى القلق عليها والاهتمام بها. انه قادر احيانا على تطعيم وحشيته وقساوته، بشىء من الليونة والحنان. قالت له:

- كنت تفكر بى...

ضحك بانفعال، وقاطعها قائلا:

- أفكر بك؟ أى شىء قد يحدث لك سيكون بسبب سوء تصرفك واندفاعك.

سألته بحدة وعصبية:

- ألا يهمك ابدا اذا افترسنى أسد؟

تأملها بعينين قاسيتين ثم قال لها بلهجة خالية من أى عطف أو حنان:

- جون هو الذى سيهمه الأمر فانت لا تمثلين أى شىء مهم فى حياتى.

٧ـ الوجه الآخر له

كان بامكانها الرد عليه بقسوة جارحة، ولكنها سيطرت على أعصابها بصعوبة بالغة. فما من معركة خاضتها ضد اندريه كونورز، إلا وتنتهى دائما بفوزه... وخسارتها. مهما بلغت حدة جوابها، فلن تكون كلماتها كافية لمواجهة تلك الملاحظة الشريرة الأخيرة لذلك فقد فضلت الرد على تعليقه الخبيث بالاحتقار الصامت الذى يسحقه.

كانت رهينة هذا الرجل الفظ، الذى يبدو من تصرفاته القاسية انه لا يعرف معنى المدنية والتحضر. ستبوء جميع محاولات التصدى له بالفشل الذريع، لأنه سيقتلعها من جذورها كما تفعل الرياح العاتية مع شجيرة صغيرة ضعيفة. لم يعد أمامها الآن إلا العودة لجون، كى تتمكن من نسيان هذا الكابوس المزعج وتبدأ فى هذا التأقلم مع حياتها الجديدة بهدوء وسكينة.

الصمت التام بينهما! لم يقل لها اندريه شيئا عن المسافة التى تفصلهما عن مزرعته، ولا هى سألته. ماذا ينفع السؤال، عندما يكون الانسان مجبرا على اطاعة الأوامر دونما اعتراض أو مناقشة. انها الآن كأسيرة بين يديه إلى أن يتسلمها جون ... ولكنها لن تسمح له أبدا بعد اليوم بأى شىء آخر. ستقف له بالمرصاد، حتى ولو كلفتها المقاومة الضارية حياتها... ومهما طالبتها عواطفها بالاستسلام له!

ركزت نظراتها واهتمامها على المناظر الطبيعية الخلابة، فأنستها بعض أحزانها وجعلتها تفهم إلى حد كبير هذا الجمال الساحر الذى جذب جون الى منطقة كحوض التماسيح. انه ليس جمالا عاديا، أو كما يظهر فى البطاقات السياحية الملون، ولكنه جمال وحشى مثير يسلب العقل ويفعم الخيال والنفس بالحيوية والبهجة. هذه هى أدغال أفريقيا كما كانت منذ مئات السنين، وقبل اقتحام المدينة لمعاقلها وأسرارها. لا حياة هنا إلا للقوى والقادر... ذلك لأنها معركة البقاء!

تعهدت سالى لنفسها بأنها ستكون قوية، وستثبت لأندريه انه مخطىء تماما فى ظنه بأنها فتاة ضعيفة مدللة. ولكنها تساءلت بانفعال شديد عن سبب هذه الرغبة الجامحة، طالما انها تريد طرده من حياتها وأفكارها... وطالما أنها تحتقره وتزدريه! ألم تعد قادرة على التفكير بهدوء وروية، وبأمور لا علاقة لها اطلاقا بهذا الرجل اللعين؟

تحولت الشاحنة الى الطريق العام، فشعرت سالى أنها تدخل عالما آخر. عادت مناظر الحقول والبساتين، وغابات الأشجار المخصصة لصناعة الأخشاب. لا شك فى أنهما أصبحا الآن على مقربة من منزل اندريه، ومكان عمله. لم يقل لها شيئا عندما انعطف عن الطريق الرئيسى الى ممرات ترابية، انتهت الى بوابة حديدية ضخمة تحمل الاسم الجميل... أرض الصنوبر.

تأملته سالى وهو ينزل من الشاحنة ويفتح البوابة على مصراعيها، فتأكد لها عندئذ بوضوح تام انه يعمل فى مجالى التشجير وصناعة الأخشاب. تأملت طريقة مشيته القوية، التى توحى بثقة كبيرة فى النفس وبقدرة فائقة على تحمل الصعاب ومواجهة الأخطار.

أدخل الشاحنة الى أرض الصنوبر، ثم أقفل البوابة الكبيرة وتابع

طريقه نحو المنزل... دونما أى تعليق أو كلمة. أحست سالى برغبة قوية لتوجيه عدد كبير من الأسئلة، ولكن منعها كبرياءها من ذلك... مع انها لم تمنعها من مراقبة هذه المنطقة التى تضج بالنشاط والحركة.

هنا شاحنات مختلفة الأحجام والأوزان محملة بكميات ضخمة من جذوع الأشجار، وهناك مجموعة من الحطابين والحمالين يشربون الشاى، وهنالك كلاب حراسة تقوم بدوريات منتظمة لحماية المنطقة والمقيمين فيها. ولاحظت سالى كيف يلوح الرجال بأيديهم ويرفعون قبعاتهم تحية واحتراما... للسيد كونورز. اتضح لها من تلك الابتسامات العريضة التى ترحب بوصوله، ان اندريه رجل يعرف كيف يجمع بين المقدرة والانصاف... وكيف يمسك بزمام الأمور بطريقة تضمن له نتائج باهرة، وطاعة عمياء مبينة على المحبة وليس على الخوف.

تساءلت مرة اخرى عما اذا كان بامكان النساء أيضا التمتع باطاعة أوامره، شأنهن فى ذلك شأن الرجال لربما... ولكنها لن تكون إحداهن على أية حال! لن تستريح على الاطلاق، اذا اضطرتها الظروف للعمل بموجب أوامره أو تعليماته! ما بالها تعود إلى التفكير به وبأوامره! فلديها جون الذى تعرف أن حياتها معه ستكون سهلة وهادئة ومفعمة بالحب والحنان... تماما كما كانت عليه منذ أيام الطفولة.

أما بالنسبة الى المرأة التى تختار العيش مع اندريه... وتحبه ويحبها... فكيف ستكون حياتها؟ حاولت سالى تجاهل الطعنة الصغيرة المؤلمة التى أحس بها قلبها، عندما أدركت باقتناع راسخ أن هذا هو السؤال الذى لن تتمكن أبدا من معرفة جوابه.

أطل المنزل فجأة أمامهما، فحبست سالى أنفاسها لصعوبة اخفاء اعجابها... ولخوفها فى الوقت ذاته من كشف خبايا مشاعرها له.

انه أشبه بالقصور... يشرف على سفح جبلى رائع تغطية أشجار الصنوبر بكثافة مذهلة، وتحيط بجدرانه البيضاء الرائعة من ثلاثة جوانب حديقة غناء تضم أجمل أنواع الزهور والورود. هل هذا هو المكان الذى يقيم فيه اندريه كونورز؟

كانت تظن ان بيته مختلف كل الاختلاف عما هو عليه من جمال الهندسة وحسن الذوق، هل يعقل أن يكون لهذا الرجل الفظ القاسى مثل هذا المنزل الخيالى، الذى يعتبر رمزا للفن والابداع؟ أوقف اندريه الشاحنة ونظر اليها بارتياح، فأحست أنها مخطئة فى تقييمها له. هذا البيت الرائع هو الانعكاس الحقيقى لشخصيته القوية...

نسيت فى تلك اللحظة تحفظها تجاهه، فقالت ببساطة وبراءة:

- انه جميل جدا.

- يسرنى أنه اعجبك، يا سالى.

لم تسمع فى صوته أو تشاهد فى عينيه أية سخرية أو تهكم، بل حرارة ومودة غير متوقعتين. الدفء والحنان مع هذا الرجل المتحجر القلب، شيئان نادران... ورائعان للغاية. ولكن هذا السحر لم يدم سوى بضع لحظات، اذ عاد الى تركيز اهتمامه على الطريق لقطع المسافة القصيرة المتبقية.

أقبل جميع الخدم لتحية صاحب البيت العائد، بالمحبة والاحترام ذاتهما اللذين لاحظتهما قبل قليل فى وجوه العمال وعيونهم. كلهم مسرورون بعودته...

أخذتها مديرة المنزل، ماريا الى غرفتها وأبلغتها بأن الغداء سيكون جاهزا خلال نصف ساعة. أحست سالى بكثير من الارتياح لوجود أشخاص آخرين فى هذا المنزل، على الرغم من ان الوضع الحال

سخيف جدا فيما لو تمت مقارنته بأحداث اليومين السابقين.

لقد تسللت الى شاحنة رجل لا تعرفه، دونما اعتبار للمظاهر أو المضاعفات... وأمضت معه ليلة كاملة على مقعد ضيق وتحت غطاء واحد... وها هى الآن تشعر بالارتياح والأمان لوجود أناس آخرين فى مثل هذا القصر الكبير، الذى يضم بالتأكيد أكثر من خمس غرف نوم وعدد من القاعات والممرات. لن يكون اندريه كونورز وحده الذى سيقول لها انها تأخرت كثيرا فى العودة الى رشدها. فهى نفسها أحست بسخافة تفكيرها، وعدم جدوى قلقها أو فزعها. ومع ذلك، فان مجرد وجود خدم فى هذا البيت يمنحها شعورا بالاطمئنان والراحة. هل يعقل أنها ليست خائفة من اندريه، بل من عدم قدرتها بعد الآن على كبح جماح رغباتها وأحلامها؟ هل هى واثقة تماما من أن قلبها لن يخونها، فيما لو حدث الآن أى احتكاك مماثل لما جرى معها سابقا.

تبا لهذه الأفكار والتساؤلات المنافية للعقل وللمنطق! لا يمكنها اضاعة المزيد من الوقت، اذ عليها التوجه الى قاعة الطعام خلال أقل من خمس وعشرين دقيقة. تخلصت من ثيابها بسرعة ودخلت الى الحمام الداخلى... الذى أعجبها كالغرفة المخصصة لها. لم تر الشىء الكثير من هذا المنزل، إلا أن الذى رأته حتى الآن يوحى بالذوق الرفيع والسخاء. الستائر والسجاد وغطاء السرير، وحتى مناشف الحمام كانت كلها ذات ألوان جميلة هادئة... وتتناسق مع بعضها البعض كلوحة زيتية لفنان مرهف الحس رقيق المشاعر. اناقة جذابة وبعيدة عن التكلف، وجودة فى كل شىء حتى الاتقان التام...

هل هو متزوج؟ لم تسأله... ربما لأنها خائفة من الجواب! من المؤكد انه ليس متزوجا، وإلا لكانت سيدة القصر واقفة أمام الباب لاستقبال

زوجها وضمه الى صدرها. ولكن... أليس ممكنا أيضا ان زوجته لا تعرف موعد عودته، وانها تقوم الآن بنزهة على ظهر حصانها أو تقود سيارتها السريعة الى أقرب قرية لابتياع بعض الحاجيات؟ لو انها زوجته، لما كانت قد تركت البيت أبدا... وظلت بانتظاره لحين عودته.

كفى، كفى! خرجت من الحمام منفعلة وأخذت تجفف نفسها فى عصبية. أصبح عقلها كقلبها... لا يمكن التكهن بتصرفاته أو التحكم باندفاعه. كم سيضحك عليها اندريه وزوجته، فيما لو علما بما يجول فى خاطرها من أفكار وآراء! قد يكونان الآن غارقين فى الضحك، وهو يروى لها قصة العروس النافذة الصبر التى تسللت مع فستان زواجها الى شاحنته.

انتهت من تجفيف جسدها، ففتحت حقيبتها وراحت تقلب ثيابها لاختيار أفضلها وأجملها. لم يكن يهمها قبل دقائق معدودة سوى خلع ثيابها الغير نظيفة، واستبدلها بأخرى نظيفة منعشة. اما الآن ، فمن الأهمية بمكان أن تبدو انيقة... وسمعت صوتا خفيا يضيف كلمة الجمال الى الأناقة. قد يسخر منها اندريه كونورز و زوجته،ولكنها ستفرض عليهما احترمها. لن تسمح أو لغيرهما بالقول انها عروس لا تليق بجون.

وقفت أمام المرآة لتتأمل بارتياح النتائج التى توصلت اليها، مع أنها لم تكن أبدا من النوع الذى يهتم بالمظاهر الخارجية الى هذه الدرجة. قد يصر اندريه على رأيه، ولكن ذلك الرجل العنيد المتغطرس سيراها... ولمرة واحدة فقط... فى ذروة أناقتها وتبرجها.

تذكرت بصعوبة كيف تصل بنفسها الى قاعة الطعام. دخلت تلك الغرفة الفسيحة فلم تجد احدا، ولكنها لاحظت بسرعة ان المائدة معدة

لثلاثة أشخاص. سمعت أصواتا فى الخارج، أعقبتها على الفور ضحكة اندريه المرحة. أخذت نفسا عميقا، وكأنها تشجع نفسها على مواجهة محنة رهيبة، ثم خرجت الى الشرفة.

توقف الحديث فور ظهورها، واستدار نحوها وجهان... لرجل يدعى اندريه وامرأة لابد وأنها زوجته. دعاها للانضمام اليهما، فلم تتمكن من التحرك. إذ اصطكت ركبتاها، وأحست بأنها على وشك الانهيار، كانت تتوقع أن يكون متزوجا، فلماذا الشعور بالصدمة؟ هل لأن الصورة التى رسمتها فى ذهنها عن زوجة اندريه، تختلف عن الحقيقة والواقع؟ هل الجمال الفائق لهذه المرأة أشعرها بالغيرة بالضعف... أو بعقد نفسية هى بغنى عنها؟ مهما كان الأمر، فكيف تفسر الصدمة التى اصيبت بها؟

ستحاول فهم الموضوع على حقيقته، عندما تعود الى غرفتها فى وقت لاحق. نظرت اليها السيدة الجذابة بعينين فاحصتين، وقالت لها بصوت رقيق هادىء:

- المتسللة الصغيرة!يا لها من فكرة جريئة وغير عادية! شعرت سالى بأن هذه الامرأة تتهمها ضمنا بالغباء والرعونة..وقد تكون على حق. فهل من الممكن مثلا أن تلجأ سيدة مثلها الى وسيلة نقل مماثلة، مهما كانت الظروف؟ الا يفسر هذا الأمر طريقة تصرف اندريه تجاهها؟ جلست قربهما، وهى تتمتم قائلة:

- الغاية احيانا تبرر الوسيلة.

شاهدت بريقا خاطفا فى عينى أندريه. ترى هل أعجبه الجواب، أم أغضبه تجرؤها على استفزاز زوجته؟ مهما كان الأمر، فقد سبق السيف العذل... وعليها الآن تقديم واجب الشكر لهذه الامرأة

على حسن ضيافتها. قالت لها بلهجة أكثر وداك

- أشكر لك قبولك استضافتى، يا سيدة كونورز.

- انا لست السيدة كونورز.

قفز قلبها من مكانه، ولكنها تمكنت ببراعة من اخفاء سعادتها العارمة.لم يتدخل اندريه لتوضيح الأمور، فقالت له السيدة الرائعة الجمال بصوت دافىء حنون:

- يبدو أنك أهملت واجبا اجتماعيا ضروريا، أيها الحبيب. لم تعش فرحتها طويلا، اذ أوحت لها الكلمة الأخيرة بأن هذه المرأة الجذابة لم تصبح بعد زوجة اندريه... ولكنها على وشك ذلك، سمعته يقدمهما الى بعضهما، مكتفيا بذكر اسميهما فقط:

- برباره سنكلير... سالى أوبريان.

سألها عن نوع الشراب الذى تفضله قبل الغداء، فطلبت كوبا من عصير الليمون... وليقول عنها ما يريدان. انهما يعتبرانها طفلة صغيرة أو فتاة مراهقة غبية.

جئ لها العصير، فوجدت فيه حلا ولو جزئيا لمشكلتها الحالية. ركزت نظراتها عليه كى تخفى الارتباك الذى يشتعل فى داخلها، والألم الذى يتفاعل كالغليان فى نفسها. عاد اندريه وبرباره الى الحديث، الذى كانا يتبادلانه قبل وصولها الى الشرفة. ولاحظت سالى بمرارة ان السيدة الجميلة توجه الحديث إلى أندريه وحده، وتحاول عمدا عدم اشتراك الضيف الشابة فيه.

كانت تلك السيدة على صواب لأن سالى لم يكن بامكانها المشاركة فى هذه الأحاديث... حتى ولو أرادت ذلك. فقد كانت السيدة تتناول

أماكن تجهلها وأشخاصا لا تعرفهم. ولكن العلاقة الحميمة كانت واضحة للغاية... وضحكات اندريه توحى بأنه يتمتع بأحاديث صديقته المرحة والشقية.

دخل الثلاثة الى القاعْ، فقدمت لهم ماريا ومساعدتها أطباق الطعام ثم انسحبتا بهدوء وانتظام. سألتها بربارة ببرود:

- هل ستطيلين البقاء هنا ، يا آنسة؟

فوجئت سالى باللهجة العدائية التى لم تحاول بربارة اخفاءها كثيرا، وتساءلت عما اذا كان اندريه قد تعمد عدم اطلاع صديقته على السبب الحقيقى لمجيئها الى هذه المنطقة. قالت لها:

- اوه، لا، سأتزوج من جون لانج. تصورت انك تعرفين...

توقفت سالى عن اتمام جملتها، عندما شاهدت النظرة الغريبة التى وجهتها بربارة نحو اندريه. ولكن صوتا فى داخلها دفعها الى المضى فى القول، وبقوة:

- انى الآن بانتظار عودته.

- اوه، انه لخبر مثير حقا! اندريه حبيبى، الا تعتقد أن متسللتك الصغيرة هى أفضل زوجة على الإطلاق لحارس الحيوانات البرية؟

- أحست سالى بوجود مودة فى لهجة بربارة، واستعدت لتحمل أحد تعليقات اندريه اللاذعة. ولكنه رفع حاجبيه بعصبية، ثم اكتفى بالقول:

- ألا تريدين مزيدا من الذرة، يا بربارة؟

انصرفت بربارة سنكلير بعد فترة قصيرة من انتهاء الغداء، وبعد توجيه دعوة لأندريه لتناول العشاء معها... فى بيتها... ليلة الأحد.

تأملت سالى صاحبة القد الجميل، وهى تغادر منزل اندريه بسيارة سباق حمراء اللون، ثم التفتت نحو سيد القصر الذى بدا متجهم الوجه ومتوتر الملامح والأعصاب، وعادت الى عينيه تلك القساوة المألوفة والعنجهية المعهودة. وتحيرت سالى، فهى لم تعد تعرف ماذا تفعل، ولذلك قررت الابتعاد عنه بطريقة مهذبة هادئة. قالت له، بعد فترة صمت طويلة:

- اعتقد انتى سأقوم بنزهة فى الحديقة. هل لديك أى مانع؟

- هل تركبين الخيل؟

- نعم.

- انا ذاهب الآن الى معمل الورشة. اذا كنت راغبة فى مرافقتى فسوف تعد لك ماريا الثياب الضرورية لذلك.

ارتكبت سالى ... وترددت، فقال لها بشىء من الحدة ونفاد الصبر:

- هيا، قررى!

لم تتردد هذه المرة. لو لم يكن راغبا فى ذهابها معه، لما كانقد دعاها الى ذلك. ابتسمت وقالت:

- بكل سرور.

لم تدرك مدى اتساع عينيه الزرقاوين الجملتين، والبريق الأخاذ الذى كان ينطلق منهما، ولكنها رأت تلك القساوة المرعبة فى عينيه وتعابير وجهه. تبدلت ابتسامتها، وشعرت بانقباض شديد حبس أنفاسها وأرهق أعصابها إلى درجة لم تعد تتحملها. رفضت التراجع عن رأيها وقرارها، فثمة دافع قوى فى داخلها يصر على معرفة المزيد عن هذا الرجل وحياته... قبل مغادرتها أرض الصنوبر.

www.elromancia.com

لاحظت سالى أن الملابس المخصصة لركوب الخيل تتناسب مع حجمها تماما. ترى هل هى لبرياره؟ واذا كانت فعلا لها، فأى ملابس أخرى تركتها هنا أيضا؟ آلمها تصورها لاحتمال وجود ثياب هذه المرأة فى منزل اندريه... وربما فى غرفة نومه بالذات. مشطت شعرها بانفعال شديد. بسبب هذه الأفكار المزعجة التى تبرز فى رأسها بين الحين والآخر.

عندما غادرت سالى البيت وجدت اندريه بانتظارها قرب جوادين اصيلين رائعين. ساعدها على ركوب حصانها، مع انها لم تكن بحاجة لأى مساعدة. جعلته اليدان القويتان اللتان رفعتاها الى ظهر الحصان تشعر بأنها... انثى، وتحظى برعاية رجل قوى شهم.

طردت سالى برياره من محيط عقلها، وركزت اهتمامها على الطريق المؤدى الى الغابات. كانت تفصل بينهما بضع خطوات، فتمكنت من مراقبته عن كثب. احست بسرور دافىء وهى تتأمل هذا الرجل الذى يعرف كيف يمسك بزمام الأمور فى كافة المجالات والممارسات. وزاد من ارتياحها ذلك النسيم العليل، والروائح الشذية العطرة، وجمال الطبيعة الساحر. وشعرت بسعادة لم تعرف لها مثيلا من قبل.

نزلا عن جواديهما أمام المعمل الكبير، فهرع مديره للترحيب باندريه والتحدث معه... فيما راحت سالى تتطلع حولها باعجاب بالغ. كان المعمل يضج حركة ونشاطا والجو عابقا برائحة الخشب. العمل جار على قدم وساق، وعلى أعلى مستويات النشاط والكفاءة والتنظيم. ومع ذلك، كان يخيم على المعمل والعمال شعور بالطمأنينة والسكينة لا تعرفه مصانع المدن. انها القيادة الحكيمة لأندريه كونورز!

انهى أندريه كونورز حديثه مع مدير المعمل وأصدر تعليماته، ثم

دعاها للقيام بجولة استطلاعية فى الداخل. اعجبت باسلوبه السلس الممتع، وبطريقة شرحه التفصيلى لطبيعة الأعمال التى تقوم بها هذه المعامل. لم تكن تعلم شيئا تقريبا عن الجهود الجبارة والمراحل الطويلة، التى تتطلبها وتمر فيها عملية صناعة الأخشاب، انه الآن اندريه جديد يختلف تماما عن الرجل الآخر، الذى كان يجرحها بسياط كلماته القاسية أو يفجر فى قلبها عواطف مجنونة. اندريه الجديد يحب عمله ويكرس حياته لمهنته. اندريه الذى تراه أمامها الآن يفتخر ويعتز بكل شبر من أرضه وغاباته، وبكل قطعة من معداته... وأهم من ذلك كله، معاملته لجميع العاملين معه فى ورشته.

لم يتحدثا أبدا أثناء عودتهما الى بيته، ولكن الصمت بدا لأول مرة خاليا من التوتر والانزعاج... وكان منهما غارق فى أفكاره وتأملاته. ركزت سالى تفكيرها على أحداث اليومين الماضيين... قرية ستريمز، الرحلة المجنونة فى الشاحنة، أرض الصنوبر، وحوض التماسيح. شعرت فجأة بعذاب الضمير، لأنها لم تفكر بجون منذ ساعات. يا لهذه التطورات المثيرة، وسرعة تلاحقها على هذا النحو المذهل!

لو انها وصلت الى قرية ستريمز قبل يوم واحد، وأبعد يومين، لكانت استقلت سيارة الركاب الكبيرة وتوجهت مباشرة الى خطيبها. ولكنه القدر...

وبرغم كل ذلك، لم يتغير بالطبع أى شىء فى خطتها. سوف تتزوج جون، وسيعملان معا على تدعيم علاقتهما وتوطيدها. لن يعرف خطيبها أبدا بالمعاناة النفسية البشعة التى تعرضت لها خلال اليومين الماضيين. اما فيما يتعلق بها شخصيا، فهى تعرف تماما ان نظرتها الى الحياة لن تعود أبدا الى ما كانت عليه... قبل هذا اللقاء مع اندريه كونورز!

٨ ـ نداء من القلب

خرجا من منطقة الغابات، ليجدا الظلال تغطى مساحات كبيرة من السهول. كان الحصانان متشوقين للعودة. فأطلق اندريه العنان لجواده ولحقت به سالى بدون تردد. لم تلاحظ خلال انطلاقها انها ضحكت بصوت مرتفع، وان الهواء حمل الصوت الى الرجل الذى يتقدمها ببضع خطوات. كل ما كانت تعرفه هو أنها سعيدة جدا لوجودها على ظهر حصان سريع، والهواء يدغدغ شعرها برقة ونعومة.

وصلا الى ساحة الاسطبل، فنزل اندريه عن حصانه أولا واقترب منها مبتسماً لمساعدتها على النزول. رفعها برفق واوقفها على قدميها، فضحكت ضحكة صافية وقالت له بلهجة دافئة:

- شكرا. كانت رحلة جميلة للغاية.

- هذا يسرنى.

- كانت الكلمتان بسيطتين وتغلف صوته نبرة عادية جدا، ولكن يديه ظلتا ممسكتين بخصرها ونظراته مركزة على عينيها. احست فجأة بارتجاف رجليها، فحبست انفاسها بانتظار سماع كلمات اخرى اقل بساطة. الا ان صوت حوافر حصان يعدو بسرعة، جعلهما يستديران نحو الطريق.

- انزل اندريه يديه فورا، فيما اوقفت صبية جميلة حصانها قربهما وقفزت عن ظهره كفارس متمرس. ابتسم اندريه وقال مرحبا:

- أهلا، ليندى.

ردت له الابتسامة بالمثل، وقالت:

- كيف حالك، يا اندريه؟ عملت ظهرا برجوعك الى ارض الصنوبر.

- يا لسرعة تنقل الاخبار هذه الأيام!

ضحكت الفتاة بطريقة اكسبتها على الفور مودة سالى واعجابها.

قالت لأندريه:

- كيف لا، وبريارة سنكلير هى التى تتولى هذه المهمة!

ثم اضافت بلهجة اكثر جدية:

- طلب منى ابى احضار التقرير الخاص بالجياد.

اجابها اندريه مداعبا، وبأسلوب يوحى ببراءة علاقته مع هذه الصبية:

- كان بامكانه الانتظار حتى يوم غد. فى اى حال، شكرا لك ولوالدك العزيز.

ثم استدار نحو سالى، وقال:

- ليندى، اعرفك بسالى.

- اهلا، سالى.

اعجبت سالى بابتسامتها الرقيقة الودودة، فتعزز اعتقاده وشعورها بأنها ستحب هذه الفتاة. عندذلك فقط ارتفعت معنوياتها كثيرا، لمجرد

www.elromancia.com

علمها بان شابة رقيقة فى مثل سنها تعيش فى هذه المنطقة. تأكد لها قبل ساعات قليلة، انها لن تجد فى بربارة سنكلير اى خصائص او صفات مشتركة بينهما قد تعجبها او تقبل بها. ولكن ليندى، ذات الابتسامات الرقيقة الصافية النقية ستكون صديقة مخلصة. حيتها بابتسامة لا تقل نقاء واخلاصا، فيما كان اندريه يفتح فمه ليقول لها:

- هيا معنا الى البيت، فقهوة ماريا الساخنة اللذيذة بانتظارنا.

- بكل سرور.

ثم نظرت الى سالى، وقالت بشىء من الاستغراب:

- تحدثت بربارة عن شابة اتت الى هذه المنطقة عن طريق التسلل. من المؤكد انها لم تكن تعنيك انت، يا سالى!

حاولت سالى قدر المستطاع اخفاء امتعاضها، وقالت:

- بلى، يا عزيزتى، انا المعنية بهذا الكلام.

افتر ثغرها عن ابتسامة عريضة، وقالت باعجاب واضح:

- حقا؟ يا له من امر مثير للغاية!

لابد لها من الاعتراف... ولو بتردد واختصار، قالت:

- لم تخل بالطبع من بعض اللحظات المثيرة.

تطلعت نحو اندريه بطريقة لا شعورية، فلاحظت انه يتأملها بطريقة لم تتمكن من تحليلها. سخرية؟ مداعبة؟ لا، ليس تماما... وربما بمزيج من هذين الشعورين ومعهما شىء آخر. حز الألم فى نفسها وقلبها على حد سواء. هل يتذكر الآن تلك اللحظات التى امضياها قرب البركة الصغيرة، عندما لامس شعرها المبلل وجففه لها

بحنان بالغ؟ ام انه يتذكر الطريقة التى عانقها بها فى حوض التماسيح، قبل أن يجرها وراءه نحو الشاحنة؟

توقفت عن الاسترسال فى تساؤلاتها المؤلمة، عندما سمعت ليندى تقول لها:

- هل تنوين البقاء هنا طويلا..؟ اوه، انى اتمنى ذلك من صميم قلبى... اذ يمكننا اقامة صداقة متينة فيما بيننا.

سيطرت سالى على مشاعرها وارغمت نفسها على الابتسام ثم قالت:

- طبعا سنصبح صديقين يا ليندى، ولكننى لن اكون هنا فى ارض الصنوبر.

- اوه؟ وأين ستكونين إذن..؟

- سأقيم فى حوض التماسيح، لأننى سأتزوج من جون لانج.

لم تعلق ليندى بشىء على هذا التصريح، الذى بدا مفاجئا لها. ومع ان سالى لاحظت اختفاء ذلك البريق المنير فى عينى صديقتها المحتملة، الا انها هى نفسها كانت لا تزال مصابة بذهول شديد بحيث انها لم تفهم مغزى ذلك الاستغراب او سببه. قطع اندريه الصمت المخيم على الشابتين بالقول:

- هيا بنا الآن الى البيت، لنشرب القهوة.

قالت له ليندى بصوت يحمل فى طياته الكثير من الارتباك والتوتر:

- لا، شكرا، يا اندريه. لم اكن افكر... بتعقل ... عندما قلت...

ترددت لحظة، ثم اضافت:

www.elromancia.com

- الوقت متأخر، ولدى بعض المهام الكثيرة الأخرى التى يجب القيام بها قبل حلول الظلام.

قال لها اندريه بلهجة رقيقة ساحرة، لم تسمع سالى مثلها من قبل:

- كما تريدين، يا ليندى. انقلى الى والدك تحياتى الحارة وشكرى الجزيل.

- حيتهما ليندى بابتسامة مهذبة، ثم قفزت الى ظهر حصانها الذى انطلق بها واختفت عن الانظار خلال لحظات. شعرت سالى، وهى تمشى قرب هذا الرجل القوى، بعقم كافة محاولاتها الجادة لابعاده عن تفكيرها. ها هى تقع مجددا تحت تأثير احاسيسها وعواطفها. هل يمكن لحديث عابر لا يتعلق بهما، التخفيف قليلا من حدة التوتر الجاثم على علاقتهما؟ قد لا تنفعها هذه المحاولة الجديدة، ولكنها بالتأكيد لن تضرها. قالت له، وهى تشير بيدها الى الجهة التى اختفت فيها ليندى قبل لحظات معدودة:

- فتاة لطيفة، وارجو مخلصة ان تقوم بيننا صداقة قوية ومتينة.

أطلق اندريه تلك الضحكة الخفيفة، فتطلعت نحوه بتعجب وقلق. كان ضوء النهار لا يزال كافيان بحيث سمح لها بمشاهدة نظراته الساخرة تتأملها وتدرس ملامح وجهها ذ تعمد التركيز بعض الوقت على عينيها ثم تحاول الى عنقها وشعرها.. قالت له، وهى تحاول اخفاء الارتعاش فيصوتها:

- اندريه! لماذا... لماذا تضحك؟

- الا تعرفين حقا لماذا؟

حاولت الرد عليه، ولكنه امسك ذقنها بأصبعه ورفع وجهها نحوه قائلا:

- لديك كل صفات المرأة المكتملة، الا انك لا تزالين فى بعض الامور اكثر طفولة مما كنت اعتقد... يا سالى الصغيرة.

- سالى الصغيرة! لو قال هاتين الكلمتين شخص آخر غير اندريه كونورز، هذا الرجل، ذى النظرات الفولاذية القاسية والملامح الجريئة الحادة المزعجة... التى اخذت تبدو اكثر جاذبية وسحرا فى عينيها! قالت له بعصبية:

- اتصور انك تقارن بينى وبين بربارة!

ضحك مرة اخرى وقال لها، فيما كانت نظراته الحادة تتفحص شعرها الجميل:

- المقارنة غير واردة اطلاقا، فما من وجه شبه بينكما.

أدارت وجهها عنه، ثم ابتعدت خطوات قليلة... وهى مغمضة العينين تأثرا وانفعالا. كانت لا توجد، على ما يبدو، اى حدود لسخريته اللاذعة ورغبته القوية فى طعن فؤادها بسهام ملاحظاته الجارحة والسامة. فرحت ضمنا لأنه لن يحصل الا على ما يستحقه، عندما يتزوج بربارة سنكلير. غطرسة وقساوة من جانبه، جمال بارد خال من الشعور من جانبها... يا لهما من شخصين يناسبان بعضهما بشكل مذهل! سيجد كل منهما فى الآخر ما تصبو اليه النفس... ستكون لاندريه زوجة تساعدها خبرتها على القيام بدور المضيف الناجح للذين سيدعوهم زوجها الى قصر الصنوبر، فيما ستكتفى هى بكونها زوجة رجل ثرى وسيدة هذا القصر الكبير الرائع . لن يهمها انهما لن يعرفا طعم السعادة الحقيقية. الحب والمشاركة والديمومة، هى الصفات التى ستشكل العناصر الأساسية والجوهرية لزوجها من جون.

لينعما ببعضهما، أو ليعمل كل منهما على تحطيم الآخر... هذا

www.elromancia.com

شانهما وحدهما فقط، وليس لها اى علاقة بالأمر. ولكن... لماذا تؤلمها الى هذه الدرجة صورة بربارة سنكلير كزوجة لأندريه؟

تناولا العشاء صامتين. كان الطعام بسيطا وعاديا، ولكنه شهى ولذيذ الطعم... ومع ذلك فقد ارغمت سالى نفسها على تناوله بشكل طبيعى. اندريه مقتنع بأنها جائعة، نظر لتلك الرحلة الطويلة التى قاما بها الى معمله والهواء النقى المنعش الذى تنشفاه فى غابات الصنوبر. اى تكاسل او تردد من جانبها عن اكمال طعمها، سيحفزه على توجيه المزيد من الملاحظات القاسية والكلمات الجارحة... الأمر الذى نالت منه حتى الآن قسطا وافرا يكفيها مدى العمر.

انتهى العشاء، فقال لها اندريه انه مضطر لتركها بمفردها للاطلاع على بعض الاوراق الهامة واجراء اتصالات هاتفية ضرورية. اكدت له انها ستجد ما يسليها ويرفه عنها، فيما كانت تقول لنفسها انها مرتاحة لذهابه وابتعاده عنها... بحيث تتمكن من خلع القناع المستعار الذى تخفى وراءه حقيقة مشاعرها وانفعالاتها.

فكرت بالذهاب فورا الى غرفتها وبعدم البقاء كثيرا بقاعة الجلوس، وذلك كيلا تراه خارجا من مكتبه المحاذى لهذه القاعة.تمنت لو انها لا تراه ابدا بالاحرى مع اندريه وبربارة؟ اذا تمكنت من تجحيم هذه العلاقة الى ادنى حد ممكن، فسوف تصبح اكثر قدرة على تحمل مضاعفاتها.

آه، كم تتمنى عودة جون فى أسرع وقت... كى تترك هذا المكان الى غير رجعة! هنيئا لك، يا بربارة سنكلير، بهذا القصر وسيده!

تطلعت حولها فى تلك الغرفة الجميلة، فأحست بالاختناق بين جدرانها الاربعة. كيف يمكنها ان تنام الآن فى هذا الوقت المبكر، وهى لا تشعر بأى نعاس او ارهاق على الاطلاق؟ تجلس وتقرأ؟ ماذا ستقرأ

وهل ستتمكن من التركيز عند قراءة اى كتاب قد تجده؟

اخرجت ستره صيفية جميلة من حقيبتها، ثم ارتدتها وخرجت من الغرفة. كان البيت الكبير هادئا للغاية، ولم تر اى ضوء سوى ذلك الذى يتسلل أسفل باب مغلق لغرفة لا بد وانها مكتب اندريه. توقف لحظة امام هذا الباب، ثم اتجهت بسرعة نحو باب آخر يؤدى الى الحديقة.

الجو أكثر من رائع، والسماء الصافية تعج بالنجوم المتلألئة.ونسيم الليل يعبق بالروائح العطرة الذكية، والسكينة الشاعرية الحالمة ترفرف فوق هذا المكان فتزيده جمالا وبهجة. انها الطبيعة الخلابة فى ذروة حسنها وقمة سحرها. ولولا الظروف التى أحاطتها، لكانت سالى هائمة جدا وتشعر بسعادة فائقة.

الا ان قلبها كان يتألم ويتعذب، ويتوق الى اشياء تجهلها. وكذلك افكارها واحاسيسها، فهى تتخبط بفوضى عارمة دونما اى سبب منطقى او مبرر واضح. لا! يتحتم عليها منذ هذه اللحظة بالذات وضع حد نهائى لمثل هذه الاحاسيس الغريبة المعربدة، فخطيبها سيعود بعد يوم او يومين... وستصبح زوجة جون لانج قبل نهاية الاسبوع. ومع ان اليوم الذى تنتظره على احر من الجمر اصبح على قاب قوسين او ادنى، فهى تشعر الآن بانها اقل استعدادا من اى وقت مضى لمواجهة هذه الخطوة الجديدة المثيرة.

هل تحب جون؟ سؤال لا مبرر له اطلاقا... فهى تحب جون منذ سنوات عديدة جدا، بحيث انها غير قادرة على تذكر وقت لم تكن تحبه فيه. احست فجأة بان مجرد التساؤل عما اذا كانت تحبه ام لا، هو دليل على عدم الاخلاص. فجون يحبها ايضا، وسيصاب بألم بشع فيما لو اشتم رائحة هذه الشكوك التى تهاجمها الآن بضراوة وشراسة. فهو

لن يفهم ابدا كيف يمكنها ان تحب انسانا الى درجة كبيرة تشعر معها بانها جزء منه، وتسمح فى الوقت ذاته لرجل آخر بالتمادى الى الحد الذى تضعف فيه مشاعرها كلية امامه...

جعلها اندريه تشعر منذ اللقاء الاول بأنها تضج حياة وعافية...

اشعل هذا الشعور فى نفسها مشاعر لم تكن تعرفها او تتصورها من قبل. يمكنها الآن الاعتراف بذلك بدون خجل او ارتباك، فالوحدة والانفراد يسمحان لها بالقاء نظرة هادئة وصريحة على عواطفها واحاسيسها. لا شك فى انها تجاوبت مع رجولة اندريه وجاذبيته، فتمردت على عقلها وتقاليدها تلك الانوثة البدائية. هل هى نادمة على هذه التحولات والتطورات المفاجئة؟ نعم، ولكن الندم موجود فقط فى عقلها وتفكيرها... وليس فى قلبها أو رغباتها.

ستحاول قدر امكانها تفادى مقابلته، لحين مغادرتها بيته... فاى تعرض جديد لتلك الجاذبية الساحرة المدمرة لن يؤدى الا الى تعميق شعورها بالخسارة، عندما يحين وقت ذهابها.

هذا الفراق اللعين! يجب أن يتقرر، وبسرعة حتى ولو لم يكن جون جزءا من هذه القضية. هل نسيت بربارة؟ هل نسيت بربارة؟ هل نسيت ذلك الايحاء الواضح بانها لم تصبح بعد زوجة اندريه؟ لا تكبرها الا بسنتين او ثلاث، ولكن المقارنة غير واردة اطلاقا بين جمالها العادى الهادىء... وجمال بربارة الساحر. فحتى لو قررت منافستها على قلب اندريه، فالنتيجة معروفة سلفا... والنتيجة المؤلمة المذلة مضمونة تماما بالنسبة اليها.

حلت فجأة فى عقلها صورة شابة اخرى... ليندى. نعم، ليندى... صاحبة الوجه الجميل الذى اختفت منه تلك الابتسامة الصافية

الرائعة، لمجرد ذكر اسم جون: ربما كانت شاردة الذهن خلال تلك اللحظات العسيرة، ولم تتمكن آنذاك من استيعاب الأسباب الحقيقية لاستياء ليندى. اليس ممكنا ان ليندى تحب جون؟ واذا كان الأمر كذلك الا يشكل هذا الامر معضلة جديدة... يصعب حلها او تخطيها؟

تنهدت سالى بحسرة واسى، وتساءلت عما اذا كان جون على علم بمشاعر ليندى تجاهه. من المحتمل جدا انه لا يعرف شيئا عن مشاعرها، تماما كاندريه... الذى لن يعرف ابدا حقيقة شعورها هى تجاهه. يا لها من حلقة مفرغة..كئيبة ورهيبة! شخص يحب ولا يحظى بأى مقابل... يتالم كثيرا ولا يقدر على البوح بمشاعره... يتعذب ومسبب العذاب يجهل كل شىء عن عذاباته!

لقد أحبت ليندى منذ اللحظة الاولى، ويهمها كثيرا الا تلحق بها اى عذاب او الم. ولكن، ما حيلتها فى هذا الامر! سترفض ليندى بعنف اى محاولات من جانبها للايضاح او تقديم الاعتذار... وستضطر بالتالى لمعالجة مشكلة بنفسها وبدون مساعدة سالى.

اوه، كم هى سريعة ومتلاحقة هذه الاحداث البالغة الاهمية! لم تترك مدينتها وبيتها الا منذ ايام فقط، ولم تكن تفكر عندئذ الا بالتخلى عن حياة المدينة الصاخبة مقابل هدوء الريف وسكونه! ماذا كانت النتيجة؟ سلسلة لا تنتهى من المشاكل المعقدة، قد تحول سعادة شخصين على الاقل الى بؤس وشقاء... ونعيمها الى جحيم!

مشت قليلا نحو نهاية الحديقة، ثم استدارت يمينا باتجاه الساحة الامامية للمنزل. لمع على بعد خطوات منها ضوء سيجارة مشتعلة، فتوقفت ثم همت بالذهاب الى الجهة المعاكسة. سمعت صوت اندريه يأتيها صافيا رنانا من تلك الزاوية المظلمة:

www.elromancia.com

- هل انت ذاهبة الى مكان ما؟

- كان أندريه اقرب اليها مما تصورت، فاجابته بصوت مرتجف:

- سأعود الى البيت.

- بسببى انا؟

- أجابته بنبرة واثقة:

- طبعا لا!

- هل أضايقك؟

اللعنة على هذا الرجل! لم يوجه هاتين الكلمتين المزعجتين على شكل سؤال، ولكنه قالهما كحقيقة واقعة!. وبتلك السخرية اللاذعة التى لم تعد قادرة على تحملها. لن تدعه يشعر بتفوقه الواضح عليها، او بقدرته الهائلة على إثارة أعصابها واخافتها. قالت له ببرودة كاذبة:

- يبدو انك تحب اطراء نفسك كثيرا.

اقترب منها أكثر وهو يقول:

- حقا؟ تعالى الى هنا.

- لا!

امسك بذراعها وقال:

- بلى. الم تتعلمى ابدا التعامل بأدب مع مضيفك؟

- انت لست مضيفى ... اعنى... اننى موجودة هنا غصبا عنى بسبب ظروف معينة... وليس لأنك تريد... استضافتى.

علق على كلامه بلهجة ناعمة رقيقة، ادت الى احمرار فورى فى

وجنتيها ورعشة فى اوصلها:

- وماذا تعرفين عما اريده او لا اريده، يا صغيرتى الجميلة؟

- لقد اوضحت حقيقة مشاعرك تجاهى منذ البداية. هل سيأتى جون غدا؟

- ربما. هل انت متشوقة كثيرا لرؤيته؟

- طبعا! ما هذا السؤال الغريب؟ إنه خطيبى، وجئت الى هنا من أجل الزواج منه، وقطعت مئات الكيلو مترات لأجل ذلك. طبعا، انا متشوقة جدا لرؤيته.

ضحك بتهكم جمد الدم فى عروقها، وقال:

- جملة توضيحية طويلة، مع ان كلمة نعم وحدها كانت ستكفى للرد.

واضاف قائلا:

- هل تعرفين ماذا يعنى الاندفاع فى الاعتراض والاحتجاج؟

لم تعد قادرة على التفكير بهدوء وروية... ولكنها قالت:

- لا... نعم... اعنى... انا لا احتج!

- لن نجادل فى هذه المسألة.

احست بضعف شديد فى اطرافها، وبرغبة مجنونة فى الهرب من أمامه بأقصى سرعة. اعدت نفسها لذلك ولكنها سمعته يقول لها:

- حدثينى عن جون.

- انت... انت... تعرف جون.

- اعرف رجلا اسمه جون يعمل كحارس لحيوانات برية نادرة،

www.elromancia.com

ولكنى أريد معرفة بعض الأمور الاخرى عن هذا الرجل الذى تغامر فتاة مثلك من أجله لتكون قربه.

- اجابته بصوت لا يزال شبه هامس:

- اننا... اننا مخطوبان.

- سألتك عن جون، وليس عنكما.

- انسان قوى وطيب ورقيق القلب ووسيم و...

توقفت لحظة عن اتمام جملتها، ثم اضافت بانفعال واضح:

- انه يتمتع بكل الصفات التى تفتقر اليها انت، يا اندريه كونورز.

تقلص جسمه فجأة وأحست هى بذلك ثم ضحك وسألها بسخريته المعتادة:

- ومنذ متى تحبينه؟

- منذ طفولتى. لا أتوقع منك، يا اندريه، ان تفهم هذا الموضوع على حقيقته. ولكن جون كان صديقى، ورفيقى، واخى... وسيصبح الآن زوجى.

- الفتاة لا تتزوج شقيقها، ايتها القطة الشرسة.

- انه ليس شقيقى!

- وهل خطر ببالك مرة انك تعرفين جون على نحو غير عادى؟ اربكها سؤاله الغريب وتلك الرقة القاتلة فى صوته، فردت عليها بحدة:

- لا اعرف الهدف من وراء سؤالك، يا اندريه كونورز.

- ولكنى احب جون... كنت دائما احبه، وهو يحبنى.

- - تتحدثين عن الحب بكل ثقة واقتناع. انت متأكدة جدا من

حبك له، يا سالى. ولكن... هل انت متأكدة فعلا من حبه لك؟

- احست بالم شديد فى قلبها... وصدمة عنيفة فى كافة انحاء جسمها. يا له من وغد،بان اسئلته مهينة، ولا يحق له فى المقام الاول التدخل فى شؤونها. ولكنها لم تتمكن من التحرك، واصابعه القوية مطبقة على عنقها، قالت له:

- انت تعلم جيدا...

قاطعها بلهجة عادية هادئة، ولكنها تحمل الكثير من المعانى الهامة:

- قد تكون الأمور تغيرت الى درجة كبيرة منذ ذلك الحين.

فهمت على التو ماذا كان يقصد، فقالت:

انت تفكر بليندى. لم تفتنى... بعد ظهر اليوم ملاحظة الكيفية التى...

قاطعها بانفعال:

- اذن...

اجابته بنبرة حزينة الى حد ما:

- سوف تتمكن ليندى من تجاوز هذه المشكلة، وستلقى يوما بشخص آخر. ليست هذه الأمور غريبة او نادرة، فكثيرا ما يحدث ان يقع انسان فى الحب و... وتكون مشاعر الغرام... من جانب واحد.

كما انا احبك، ايها اللعين! هكذا صرخ قلبها فجأة، ولكنها هزت رأسها بعصبية بالغة وكأنها تحاول نفى هذه الحقيقة الواقعة التى يستحيل الاعتراف بها.

لم يتمكن اندريه، وربما للمرة الاولى، من فهم المغزى الكامن وراء

www.elromancia.com

كلماتها وحركة رأسها. سألها بهدوء مذهل:

- اذن، انت متأكدة مما تقولين..؟

كادت الدموع تنهمر من عينيها وتفضح مشاعرها، ولكنها سيطرت على نفسها وقالت:

- نعم. جون... لم يتغير؟

- وهل تغيرت انت؟

سؤال بسيط للغاية، ولكنه بدا مع ذلك كضربة قاضية ارتجت لها ثقتها وقدرتها الذاتية... و التوقعات التى كانت تقبلها حتى الآن بدون اى تساؤل او تشكيك. كادت تقول انها تغيرت.. نتيجة اقتحامه الشرس وغير المتوقع لحياتها، ولكنها ارتبكت وفضلت الصمت سألها ثانية:

- اذن؟ هل تغيرت؟

لابد لها من اجابته بالنفى..لأجل جون، واحتراما لتلك العلاقة القائمة بينهما منذ ايام الطفولة. قالت بصوت هامس:

- لا، لك اتغير...

ترددت لحظة، ثم اضافت بثقة زائدة:

- ... ولن اتغير ابدا.

ضغطت اصابعه على عنقها وضحك بصوت قاس وتهكمى، ثم قال:

- كلمة ابدا تعنى وقتا طويلا للغاية. ستتعلمين ذلك عندما تنضجين فكريا وتصبحين أكثر واقعية وفهما.

- انا ناضجة فكريا وواقعية جدا..!

- وتعتقدين انك تعرفين الجواب الصحيح لأى سؤال قد يطرح عليك.اخبرينى، ماذا ستفعلين فى منطقة حوض التماسيح. ستمضين معظم وقتك وحيدة، بعد انتهاء شهر العسل..؟

هاهو يستفزها مجددا! عليها اتخاذ جانب الحيطة والحذر، والا فسوف يحطمها بدون شفقة او رحمة. قالت له بلهجة الواثق من نفسه.

- سأجد اشياء كثيرة أفعلها وتسلينى.

- هل تحبين الحيوانات؟

تسرعت بالاجابة، ولم تنتبه الى ذلك الا اهتمام جون واعجابه، وقد علمت نفسى بالتالى أن أحبها مثله.

- سألتك عما اذا كنت انت تحبين الحيوانات.

- طبعا. فى اى حال، ليس هذا الامر بالموضوع الهام... بغض النظر عن الكيفية التى تنظر بها اليه.

قال لها باللهجة القاسية ذاتها، التى برزت فى جميلته السابقة:

- اعتقد انه موضوع هام جدا. انت تركضين وراء الاوهام، واتصور جازما ان زواجكما لن ينجح.

صرخت بوجهه، وهى تحاول الافلات من قبضته الفولاذية:

- من فضلك... لا اريد سماع المزيد!

- لما لا؟ هل انت خائفة من يقظتك فجأة من احلام الطفولة؟ لن تظلى مخلصة لجون اكثر من شهر واحد بعد زواجكما.

استشاطت غضبا وانفعالا فرفعت يدها لتصفع وجهه، صارخة:

كيف تجرؤ على مثل هذا الكلام!

www.elromancia.com

كان اسرع منها بكثير، فامسك بيدها وطوقها بذراعيه القويتين الحديديتين ثم ضمها اليه بقوة وعنف بشكل لم تشهد مثله سابقا... قائلا:

- سأريك كيف اجرؤ.

فهمست بصوت معذب:

- اندريه...

- نعم؟

كان صوته قاسيا جدا، كملامح وجهه ونظراته، فاصيبت بذهول شديد. نسيت كلماته الهازئة، وسخريته اللاذعة، وتصرفاته السيئة:

- هل تريدين المزيد من الاثباتات؟

اشتعلت غضبا وحنقا، فتمردت كرامتها على رغباتها ومشاعرها، وعزة نفسها على عواطفها الجياشة فهذا الرجل الفظ. اذلها... قزمها... حط من قدرها... وحقرها... لكى يثبت لها جملة تافهة قالها لها. دفعته عنها بقوة لم تكن تعرف انها تملكها، وأسرعت جريا نحو البيت. لم يحاول منعها، او الاعتذار منها، او حتى توجيه كلمة رقيقة لها. لا، لن يفعل اندريه كونورز ذلك! لا مبرر لأى شيء من هذا القبيل، فهو مقتنع برأيه المتعجرف اللعين.

رمت نفسها على سريرها، وراحت تحدق بسقف الغرفة شاردة الذهن ومتوترة الاعصاب. لماذا قال لها انها لن تظل مخلصة لجون الا لشهر واحد بعد زواجهما؟ هل اقنعته محاولته لاثبات نظريته، بانها ساذجة. هل سيتبدل اقتناعه هذا، اذا عرف السبب الحقيقى هل سينظر اليها من زاوية مختلفة، اذا علم بأنها تحبه بجنون كما لم تحب احدا اخر فى حياتها... وبأنه دخل قلبها وعقلها واحاسيسها، من

أوسع الأبواب. وخلال هذه الفترة القصيرة، بهيمنه لا حدود لها، جعلتها لا تفكر الا فيه... حتى اثناء النوم؟ هل سيقبل باعادة النظر فى تقييمه السلبى لها، اذا فهم انها تحبه... ولا تعرف طعم السعادة الحقيقية الا عندما يكون قريبا؟

ربما... ربما، ولكنها تفضل الا يعلم. يجب الا يعرف ابدا حقيقة مشاعرها تجاهه. لقد وصلت الى مرحلة متقدمة جدا فى علاقتها مع خطيبها جون، بحيث انها لم تعد قادرة على التراجع او الانسحاب. إنها تحب اندريه... نعم! تحبه بطريقة مجنونة لا تعرف معنى المنطق، ولكنها احبت جون ايضا... ولو بصورة مختلفة. احبته دائما... وستظل تحبه... وستكون مخلصة له.

سوف تتزوج جون خلال هذا الاسبوع، على ابعد تقدير، وستعيش معه فى حوض التماسيح... وتبذل جهدها بصدق وامانة لاسعاده. قد تضطر احيانا لمقابلة اندريه فى مناسبات اجتماعية، ولكنها ستحاول تجاهله ونسيانه قدر استطاعتها. لن يكون ذلك سهلا. ولكن حياتها ستكون اكثر عذابا وتعقيدا فيما لو عرف أندريه بحبها له.

اغمضت عينيها ووجهت نداء صامتا الى خطيبها:

- تعالى بسرعة، يا جون، فلن أتحمل الصمود طويلا... وانا مع اندريه كونورز فى بيت واحد!

٩ـ اللقاء الفاتر

تناولت سالى فطورها على انفراد، فأحست بكثير من الارتياح لعدم وجود أندريه ... واضطرارها بالتالى لمواجهة نظراته وتلميحاته.

تأخرت كثيرا فى نومها، فلم تجد فى قاعة الطعام سوى ماريا... التى أبلغتها بأن السيد كونورز توجه الى المعمل باكرا، بعد أن أصدر التعليمات الى الجميع للاهتمام بها والسهر على راحتها لحين عودته قبل موعد الغداء. استغربت سالى هذه الرعاية الخاصة وغير المتوقعة، لأنها ليست من شيمته أو طبائعه. وتصورت وانه يتبع تقليدا معينا بالنسبة لقواعد الضيافة وأصولها، ومع أى شخص يستضيفه.

وصلت بربارة سنكلير فيما كانت سالى على وشك الانتهاء من تناول طعامها، فأحست سالى بالانزعاج من جمالها الرائع وأناقتها الفائقة. حيتها بربارة بابتسامة خبيثة، وقالت لها بلهجة ساخرة:

- انت أول متسللة أعرفها فى حياتى تتصرف بتلقائية وبساطة وكأنها فى بيتها.

ردت عليها سالى بنبرة رقيقة ناعمة، لم تعرف كيف صدرت عنها:

- انا مطمئنة جدا، الحمد لله. وشكرا.

ارتبكت بربارة قليلا لأنها، على ما يبدو، لم تكن تتوقع مثل هذه

الاجابة المهذبة. ولكن الدهشة لم تطل كثيرا، وحل محلها الغضب والانفعال اللذان كانا واضحين جدا عندما سألتها:

- متى ستذهبين الى حوض التماسيح؟

- بمجرد عودة جون.

- ولكن عودته قد تتأخر اياما!

- ربما.

- الا ترين بأنك تحاولين الايقاع باندريه أثناء ذلك.

شعرت سالى بالغضب الشديد، نتيجة لهذه الكلمات القاسية والنظرات الحاقدة التى كانت توجهها بربارة من عينيها الباردتين المزعجتين. مسكين اندريه، لأنه سيتزوج هذه المخلوقة الشريرة! قد يكون متعجرفا ومتكبرا وكثير الثقة بنفسه، ولكن تلك الساعات القليلة التى امضياها بعد ظهر الأمس فى المعمل كشفت لها مدى جديته واستقامته فى العمل. لقد دفعها الغضب العارم وحب الانتقام فى اليوم السابق الى تمنى زواجهما كى يحطم كل منهما الآخر. اما الآن فمجرد تصوره برباره زوجة له يدخل الحزن والأسى الى قلبها. اوه، لماذا تحاول خداع نفسها؟ ستشعر بالتعاسة والعذاب والألم... اذا تزوج اندريه أى امرأة على الاطلاق، وليس بربارة فقط. قالت لها سالى بهدوء، ردا على سؤالها:

- اعتقد أن اندريه لديه الكفاءة للاعتناء بنفسه. فلو أنه كان يشعر بهذا الاغراء المزعوم، لبدرت عنه أشياء توحى بذلك.

- لن يقدم على أى أمر من هذا القبيل، لأنه سيد مهذب ويحترم نفسه.

- أحست سالى بأن غضبها من بربارة يزداد لحظة بعد اخرى،

www.elromancia.com

وخاصة كلما تطلعت اليها أو سمعتها تتفوه بكلمات كهذه. قالت لها بانفعال واضح:

- ولست أنا سيدة مهذبة تحترم نفسها؟

- تذكرى انك أنت التى تقولين ذلك...

توقفت برهة، ثم أضافت بلهجة حاقدة:

- اذا كنت تحبين جون، فانى اقترح عليك القيام ببعض الترتيبات الضرورية واللازمة.

- هل يعنى ذلك انك تطالبيننى بمغادرة أرض الصنوبر؟

- بالضبط.

تأملت سالى وجه برباره الجميل البارد، ونظرات الكراهية التى تشع فى عينيها القاسيتين، وسألتها بهدوء مثير للأعصاب:

- غير واثقة أو متأكدة اطلاقا من موقفك الحالى، أليس كذلك؟ شحب لونها وارتجف جسمها، وبدت كنمرة شرسة تتأهب للانقضاض على فريستها. قالت لها بصوت مرتعش ينفث حمما:

- انا متأكدة تماما، يا آنسة اوبريان. ولكننى لن أسمح أبدا لمتشردة قليلة الحياء مثلك بتلطيخ السمعة الطيبة لمن سيصبح قريبا زوجى قالت لها سالى بصوت منخفض، وهى تحاول جاهدة السيطرة على انفعالها المتفجر:

- انا لست مستهترة أو قليلة الحياء، يا بربارة سنكلير. ولكنك مخلوقة بشعة جدا، و أنانية ومتعجرفة وباردة، ولا تستحقين رجلا كاندريه.

- احذرى من التهور، يا سالى اوبريان. انا قادرة تماما على تنغيص

- أحست سالى بألم حاد يعصر قلبها ويدمى فؤادها، فأبعدت وجهها عن برباره كيلا ترى الدموع الغاضبة التى بدأت تحرق أى لقاءات اجتماعية مع اندريه وزوجته، ولكنها اكتشفت الآن حتمية تجنبهما بصورة تامة. و... سمعت بربارة تقول لها بتعال جارح:

- منذ الآن ثقى بأنه سيتم اختيار ضيوف هذا البيت بعناية فائقة، بمجرد زواجى من اندريه.

رفعت سالى رأسها وقالت لها ببرودة مرعبة:

- سيكون ذلك من صميم التى يمنحك اياها الزواج.

- أحست بربارة بوجوب مغادرة بيت اندريه على الفور، وقبل حدوث ما لا تحمد عقباه فعلت ذلك بدون تردد أو كلمة وداع، فيما كانت سالى تبدو متحفزة لصفعها أو ضربها بأى شىء تصل اليه يدها.

- أيقنت سالى بأن عليها مغادرة أرض الصنوبر بأسرع وقت ممكن... ولكن السؤال الأهم ظل كما هو: كيف ستذهب الى منطقة حوض التماسيح، التى تبعد اكثر من أربعين كيلو مترا عن أرض الصنوبر؟ هل تقطع هذه المسافة الطويلة سيرا على قدميها، حتى ولو استغرق ذلك ساعات عديدة؟ لو انها كانت تستشعر الأمان فى هذه المناطق التى تعج بالحيوانات البرية المفترسة، لما ترددت لحظة واحدة. يمكنها التسلل مرة ثانية الى ظهر شاحنة أخرى متجهة الى منطقة خطيبها. لا! يكفيها ما حصل معها حتى الآن. قد ينسى الناس الحادثة الأولى مع مرور الزمن، ولكنهم لن يغفروا لها أبدا الاقدام على خطوة مماثلة لا تفصل بينهما سوى ايام معدودة. سيؤثر تصرفها الأرعن على جون، وقد يفقده وظيفته. لا، لا يمكنها تكرار ذلك. لا بد لها من انتظار عودة جون، والتحلى بالصبر.

اختارت بعض المجلات من قاعة الاستقبال، وخرجت الى الشرفة. حاولت التركيز بعض الشيء على القراءة، أو حتى على تأمل الصور، ولكنها لم تستطع ذلك نظرا لتطلعها باستمرار نحو الغابة... والتفكير بما قالته لها برباره سنكلير. شعرت بأنها لا تريد رؤية اندريه بعد الآن، ومع ذلك كانت تتوقع عودته... بفارغ رؤية اندريه بعد الآن، ومع ذلك كانت تتوقع عودته... بفارغ الصبر. يا له من موقف جنونى!

رأت سيارة تقترب، فهبت واقفة ووضعت يدها فوق عينيها لتحجب عنهما القليل من ضوء الشمس المتوهج. شاهدت شاحنة صغيرة تقترب من ساحة المنزل... ماذا ستقول لأندريه، هل ستطلعه عما جرى مع برباره؟ لا! توقفت السيارة ونزل سائقها، فرمت سالى المجلات من يدها الأخرى وهرعت لاستقباله. انه جون.

- جون! اوه، جون، انت هنا!

ألقت نفسها بين ذراعيه وقد جاشت مشاعرها، فضمها اليه بقوة ورفعها قليلا عن الأرض... فيما كانت ذراعاها تطوقان عنقه. وقلبها يخفق بقوة مذهلة. أنزلها الى الأرض بنعومة ورقة، وهى تقول له:

- جون! اوه، كم أنا سعيدة بمجيئك ورؤيتك! كيف علمت بوجودى هنا؟

- ابتسم وقال:

- يتناقل الناس هنا الأخبار الجديدة بسرعة مذهلة. اوه، سالى الحبيبة، لم اتمكن بعد من تحيتك والترحيب بك.

- هل فوجئت بمجيئى إليك هنا ..؟

ضحك قليلا، وقال:

الى حد ما، ايتها الحبيبة! لماذا لم تخبرينى مسبقا بموعد وصولك؟

- كنت خائفة من انك ستطالبنى بمزيد من الانتظار، بينما كنت متأكدة من انه لا مبرر لذلك اطلاقا. ثم أننى... اردت مفاجأتك.

- من المؤكد انك نجحت فى ذلك الى حد بعيد!

لم يجيبها... فحدقت بوجهه المألوف المحبب، وتذكرت نقاء العلاقة بينهما وصفاءها. كانت دائما فى شوق جارف إليه، ولم تشعر مرة واحدة إلا وانها جزء لا يتجزأ من هذا الرجل الطيب الحنون. ولكن... لماذا هذه اللهجة الجديدة فى حديثه، التى لم تسمع مثلها من قبل؟ احتارت، وزاد ارتباكها واستغرابها عندما أحست انه تجاهل سؤالها عمدا. ترددت قليلا، ثم قالت:

- جون... هل أغضبتك بقرار مجيئ المفاجىء؟

- و هل غضبت منك مرة واحدة من قبل، يا سالى؟

كان اندريه يدعوها فى ظروف مماثلة... القطة الشرسة، ولكن الرجل الواقف أمامها هو جون لانج وليس اندريه كونورز. لا تزال ابتسامته هى نفسها، كما تعرفها منذ سنوات عديدة... وكذلك علاقتهما. ولكنها شعرت بصورة الاعتذار له، ولو لأول مرة منذ جمعهما الحب معا. قالت بصوت حنون مؤثر:

- لا... ولكن... اوه، اعتقد انه كان على ابلاغك مسبقا عما اعتزم القيام به. جون... لأنى أحبك لأننى أتيت اليك من ستريمز بواسطة التسلل... والاختباء فى شاحنة...

- بدون التفكير بالمضاعفات والنتائج الناجمة عن ذلك.

اعترض على تصرفها، ولكن اسلوبه فى الرفض والاعتراض خلا من السخرية أو التهكم اللذين كانا سيظهران حتما لو كان اندريه

كونورز مكانه. سمعته يضيف قائلا بنعومة ورقة:

- يجب الا يدهشك كلامى الى هذه الدرجة، ايتها الحبيبة. لم تكن خطوتك تلك منطقية إلى حد ما ولكنها انتهت على الأقل بشكل جيد. انا ممتن جدا لأنك جئت مع صديقى اندريه أى شخص آخر.

- أنت...

ارتبكت فجأة، ولم تعد قادرة على متابعة كلامها. لن يكون ممتنا على الاطلاق، لو عرف ماذا جرى بين خطيبته وصديقه... وكيف تكونت مشاعرها الجديدة نحو رجل آخر غيره. ولكنها لن تخبره ابدا... ابدا!

أمسك جون يدها وسارا معا الى الشرفة، بعيداً عن الشمس الحارقة. أعجبتها ملامسة يده وارتاحت لها، فتذكرت فورا عندما كانا يركضان معا على هذا النحو بحثا عن العصافير أو الحيوانات الصغيرة التى تسرح وتمرح فى الحقول المجاورة. ولكنها تضايقت من نفسها، لأن رد فعلها اقتصر على الاعجاب والارتياح.. بالمقارنة مع المشاعر التى تثيرها فيها ملامسة اندريه. قالت له، وكأنها تدافع عن تلك المشاعر:

- اندريه كونورز انسان لا يطاق ولا يحتمل.

ابتسم جون وقال:

- كيف يكون هذا رأيك فى أندريه؟ سمعت النساء يستخدمن عبارات مختلفة تماما فى وصفهن له.

نساء... آه كم تؤلمها وتعذبها هذه الكلمة، عندما تربط باسم اندريه! هل هى الغيرة؟ تناست الحديث عن اندريه وسألته:

- هل سنذهب الآن الى حوض التماسيح؟

- نعم.

- اتصور انه يتحتم علينا اذن ايجاد اندريه و... ابلاغه.

- انه يعرف ذلك، فقد التقيته فى معمله قبل حضورى الى هنا.

كيف كان رد فعله على عودة جون، وهل وجه اليها أى رسالة مع الخطيب العائد؟ يا لسخافتها وحماقتها! هل من المعقول أو المنطق أن يقدم اندريه كونورز على تصرف صبيانى كهذا؟ لا، ولكن خيبة الأمل أنستها الحجة والبرهان، وحرمت عقلها من التفكير فى سلوك أندريه.

هزت رأسها وقالت:

- حسنا.

أرعبتها البرودة الجافة فى نبرة صوتها، فأضافت بلهجة أكثر اشراقا:

- سأدخل بسرعة لاحضار أمتعتى.

لا ليس الآن، يا سالى.

- ماذا تقول يا جون؟ امتعتى موجودة هنا... حقيبتى، وثوب الزفاف، و... وعلبة من الحلوى التى تحبها كثيرا.

- احضرى علبة الحلوى، واتركى بقية أمتعتك هنا. سأحتاج، ايتها الحبيبة، الى بضعة ايام لانهاء الكثير قبل زواجنا

- اعلم ذلك، ولكن...

- وافقنى اندريه على انه من الأقل لك البقاء هنا خلال هذه الفترة...

حدقت به فى ذهول وهى تحاول اخفاء الارتعاش القوى الذى حل

www.elromancia.com

بها. لاحظ جون انفعالها الشديد، فوضع يده برفق على رأسها وقال لها بحنان واضح:

- بضعة ايام فقط، أيتها الحبيبة.

- ولكنى أريد الذهاب معك الآن! أريد البقاء معك فى أى مكان حتى آخر يوم فى حياتى.

- لدينا متسع كاف من الوقت، ايتها الحبيبة. سأحضر كل يوم لرؤيتك والتحدث معك... ما بك ، يا سالى، تبدين مستاءة إلى هذه الدرجة؟ قلت لك انها مسألة ايام فقط حتى أجهز منزلنا.

- - جون... لا أفهم! لقد أمضينا طوال حياتنا معا. ألم نمض مرة يومين كاملين وحدنا، فى خيمة نصبناها على بعد كيلومترات عديدة عن بيتنا؟ من المؤكد انك تذكر ذلك!

نظر اليها بجدية، وقال:

- طبعا، اذكر ذلك. ولكننا كنا صغيرين عندئذ، يا سالى.انت الان امرأة، ايتها الحبيبة، وأنا رجل.

- لو كنا أى اثنين آخرين، لكان الأمر مختلفا. اما نحن...

لم تتمكن من ابلاغه بانها لا تنتظر منه سوى الاستمرار فى علاقتهما الطاهرة والبريئة، التى سيزيدها الزواج عمقا وحباً. لن تشعر بأى نزوات مجنونة أو رغبات هوجاء.

قال لها:

- ثمة مشاكل اخرى يا حبيبتى يجب اخذها بعين الاعتبار.

- وهنا فى أرض الصنوبر، الا توجد مشاكل أو أخطار؟ اذا كنت

انت رجلا، فماذا تسمى اندريه كونورز اذن؟

- كوخى صغير جدا يا سالى ولا توجد فيه سوى غرفة واحدة، فى حين ان قصر الصنوبر يعج بالغرف والقاعات. وقد اكد لى اندريه بأن ماريا ستنام هنا، للسهر على راحتك.

ماذا سينفع وجود حارس امين أو عدد الغرف والقاعات، وكيف ستساعدها هذه الأمور على احتمال اندريه وتصرفاته؟ هزت كتفيها بانفعال شديد، فسمعت جون يقول لها بلهجة لا تقبل رفضا أو اعتراضا شديد، فسمعت جون يقول لها بلهجة لا تقبل رفضا أو اعتراضا:

- من فضلك...لا تعقدى الأمور بالنسبة الى ، يا سالى.

تحدثا عن الأهل والأصدقاء، وعن طبيعة الحياة فى المدن والأرياف. وما ان ابتعدا قليلا عن ارض الصنوبر، حتى قالت لخطيبها:

- لم تكن الزائر الأول هذا الصباح، ياجون، فقد سبقتك فى ذلك برياره سنكلير. هل تعرفها؟

- ما من شخص هنا إلا ويعرف برياره.

- تصرفت معى بفظاظة بالغة، لأنها غير راضية أبدا عن وجودى فى أرض الصنوبر.

ربت على يدها مطمئنا ومشجعا، ثم قال:

- لا تفكرى بذلك كثيرا ، أيتها الحبيبه .

حاولت جاهدة استعادة رباطة جأشها، فلم تنجح ولو بقدر قليل. قالت: بصوت متهدج:

- قالت لى انها ستتزوج اندريه.

- كلنا نعرف أنها تلاحقه منذ فترة طويلة.

- وهل ستفوز به؟

- اعتقد ذلك.

- وهل يحبها اندريه؟

- ضحك جون وقال:

- هذا الأمر لا يهمنى ثم أننى وأندريه لم نتكلم معا فى هذه المسألة الخاصة. برباره سنكلير على كل حال... ليست من النوع الذى يعجبنى، ولكن لديها صفات معينة تجعلها الزوجة المناسبة لأندريه.

أرادت سالى الاسترسال فى استفساراتها عن برباره واندريه، ولكنها تمكنت من ضبط أعصابها ولاذت بالصمت. برباره اللعينة... هل تحب اندريه؟ هل يمكن لتلك المرأة الجليدية الأنانية أن تحب احدا غير نفسها؟ ثم.. هل يحبها اندريه؟ ربما! تألمت سالى كثيرا لمجرد التفكير بهذا الاحتمال، فقررت الهاء نفسها بالتحدث مع جون عن حوض التماسيح... وعن عمله.

وكعادتها معه، أحست بالراحة والطمأنينة... فى حين انها كانت تشعر مع اندريه بمشاعر أخرى مغايرة. تململت فى مكانها، عندما تذكرت كلام اندريه لها عن أن الفتاة لا تتزوج شقيقها. اذا تصرف جون معها كأخ، فهذا لا يعنى انه شقيقها. ألم يقل المثل... رب أخ لك لم تلده امك؟ كانا رفيقين وصديقين، وأحبا بعضهما. لم يخف أى منهما سرا عن الآخر، باستثناء ذلك السر الوحيد الذى لا يمكن لها اطلاعه عليه. لن تحدث مفاجآت فى حياتهما الزوجية، بل ستكون إلى الابد حياة هادئة وسعيدة للغاية.

سألها جون عن كيفية تسللها الى شاحنة اندريه، فأخبرته معظم التفاصيل... بما فى ذلك استخدمها الكيس المخصص لثوب الزفاف كوسادة تحت رأسها. ضحك وقال:

- أنت متهورة، ومجنونة. لم تتغيرى كثيرا، يا سالى. بلى، تغيرت... ولكنها لن تخبره أبدا عن هذا الخطير الذى طرأ على حياتها... هل تغير هو؟ لم تتبدل صفاته الأساسية، ولكن تغيرات كثيرة طرأت عليه منذ مغادرته المدينة. فقد بعض وزنه... اصبح اكثر نضوجا وثقة بنفسه... وتبدو على وجهه ملامح حزن لم تكن موجودة من قبل. أرادت سالى أن تسأله عما حدث معه، ولكنها لم تجرؤ على ذلك. يا للغربة! أهذا هو جون لانج، الذى كانت تتحدث معه دائما بكل صراحة ووضوح...؟

أوقف جون السيارة داخل المخيم، ثم سار وسالى نحو كوخه الصغير وسألها:

- هل ستكونين سعيدة هنا، يا سالى؟

- طبعا. هذا ما كنا نريده دائما، أليس كذلك؟

- نعم، أيتها الحبيبة.

- لماذا هذه النظرة الحزينة فى عينيه؟ هل ثمة مشكلة لا تعرف عنها شيئا؟ لو كانت الظروف كالسابق، لسألته على الفور عما يعانيه. ولكنها لم تعد كما كانت... فهى تغيرت كثيرا... وجون أيضا تغير! أحدث البعاد شرخا فى العلاقة القائمة بينهما، لذلك فمن الأفضل اعادة الوضع الى سابق عهده بأسرع وقت ممكن. قالت له بلهفة:

- جون! أنت لم تعانقنى بعد!

- لم تسنح لنا حتى الآن أى فرصة لذلك.

اللعنة! لماذا يجد اندريه الفرص المناسبة عندما يريد؟ قالت له بصوت مرتجف بعض الشيء:

- اعرف. ولكننا الآن... على انفراد... أرجوك، يا جون.

- هل يمكننا تأجيل حديثنا الغرامى لحين حصولنا على وثيقة الزواج؟

ردت ابتسامته بالمثل، وقالت مداعبة:

- اذا كنت تعتقد أن تأجيل ضرورى، فلا بأس.

لماذا تتظاهر بموافقته على رأيه فى حين أنها كانت تشتعل غضبا فى داخلها..؟لم تضطر أبدا فى حياتها لاستخدام الكذب والخداع معه، فلماذا الآن تمنت من صميم قلبها أن يساعدها الزمن على التخلص من هذه المشاعر المجنونة، كى تكون علاقتها مع زوجها مخلصة وصادقة تماما كما كانت علاقتهما كصديقين. سوف تنسى اندريه كونورز... وتكرس حياتها لجون لانج!

١٠ ـ وذابت فيه حبا

أبلغها جون فى طريق عودتهما انه سينشغل عنها للقيام ببعض الأعمال الضرورية، وذلك بسبب غيابه ثلاثة أيام كاملة عن حوض التماسيح. ثم قال:

- سنذهب بعد غد إلى أقرب بلدة لاعداد الترتيبات اللازمة لزواجنا، ثم نشترى بعض الأشياء الأساسية. وبمجرد أن يسمح لى وقتى بالتغيب بضعة أيام عن العمل، نعود الى البلدة حيث تتمكنين من شراء أثاث جديد.

ثم ابتسم وأضاف قائلا:

- سيصبح لنا قريبا يا حبيبتى بيت أكبر وأجمل. سأبدأ على الفور فى اعداد كل ما يلزم لبناء البيت الجديد. لو أننى كنت أعلم بأنك تريدين المجيء إلى هنا، لكان البيت الآن جاهزا الى حد ما.

- اعتقد انه كان على ابلاغك مسبقا بقرارى هذا، يا جون.

أمسك بيدها وضغط عليها بحنان، قائلا:

- سالى ! سالى، أيتها المتهورة الحبيبة. لا تتغيرى أبدا.

- أوه، لقد تغيرت سالى كثيرا، يا جون... وكذلك انت ... ومن غير الممكن على الأرجح اعادة أى منا الى طبيعته الطفولية السابقة!

www.elromancia.com

-،هل تحبين رعاية الايتام؟

- الايتام؟

- احضر معى الى المخيم بين الحين والآخر حيوانا رضيعا، لأن امه قد تكون قد قتلت أو نفقت إنها حياة الغابة يا حبيبتى.

- ماذا تترك اذن للطبيعة؟

- فى بعض الأوقات، تكون فرص الحياة والبقاء لحيوان رضيع وحيد ضعيفة جدا... فأحاول مساعدة الطبيعة على انقاذه من براثن الموت المحتم. لذلك أسألك هل تقبلين بمساعدتى فى هذا المجال، يا سالى؟

- هذا هو المجال الوحيد الذى لم يتغير فيه جون اطلاقا. كان يعرف منذ حداثة سنه ماذا يريد فى المستقبل، وقد حقق الآن امنيته. ألم يكن يحضر الى بيته كلابا صغيرة ويعتنى بها... ويعلم سالى كيفية الاهتمام بها ورعايتها؟ ومع أن الكلاب شىء وصغار الحيوانات البرية المتوحشة شىء آخر إلا أنها حتما ستتعلم كيف سترعاها وتهتم بها.

لقد تعلمت دائما القيام بالأعمال التى كان جون يتوقعها منها، فلماذا تتقاعس الآن... وهى اكثر خبرة ونضوجا، وأكثر رغبة فى اسعاده! ابتسمت وقالت:

- اعتقد اننى سأحب ذلك، اذا علمتنى كالعادة كيف أعمل بالضبط.

- نجح جون فى جعل يومها ممتعا ومسليا للغاية، بحيث انها تمكنت إلى حد كبير من نسيان تعقلها باندريه. ولكن مشاعرها ثارت مجددا، وهما فى طريق العودة الى أرض الصنوبر. فقالت لخطيبها بلهفة.

- دعنى أبقى معك الآن هنا يا جون .

- ليس الآن،يا سالى.

- أرجوك... لا أريد العودة الى أرض الصنوبر... الى اندريه...

- لماذا تكرهين اندريه الى هذه الدرجة؟

- لأنه... لأنه إنسان متعجرف و... وقاس جدا.

- يبدو أنه ضايقك كثيرا..ولكن لا تكونى قاسية جدا على اندريه، ايتها الحبيبة. اذا كان قاسياً مع النساء، فثمة سبب لذلك.

- أى سبب؟

- تركت امه أرض الصنوبر وهو لا يزال طفلا صغيرا.

- اوه... لم اكن ... اعلم ذلك. لماذا تركت بيتها وابنها؟

نظر اليها بكثير من الجدية والاهتمام، وقال:

- لم تتمكن من تحمل الحياة... والوحدة هنا. انها ليست حياة سهلة بالنسبة للنساء.

- هذا هو اذن سبب احتقاره للنساء، واعتقاده بأن فتاة المدينة لن ترضى بالبقاء طويلا فى مناطق الغابات والأدغال..! وبانها لن تخلص لزوجها طويلا. وجهت الى جون سؤالا، أحست انها تعرف جوابه مسبقا:

- ماذا حدث لأندريه؟ هل أخذته معها؟

- تعرفت إلى رجل غريب فأحببته... وذهبت معه إلى المدينة. اما اندريه، فقد تولى والده مهمة رعايته وتربيته.

- من المؤكد ان هناك نساء يقدرن على مواجهة الحياة هنا، مهما بلغت صعوبتها وقساوتها.

- طبعا، أيتها الحبيبة، وأنت احداهن.

- نعم... ولكن... لا توجد علاقة بين هذه الأمور كافة... وعدم رغبتى فى العودة إلى أرض الصنوبر، أنا لا أريد ذلك. جون، أرجوك! أنت لا تعرف... أعنى... كان اندريه مستاء جدا عندما اكتشف وجودى على ظهر شاحنته.

www.elromancia.com

ضحك جون وقال:

- هذا أمر طبيعى. اسمعى يا سالى. أعدك ألا تطول اقامتك هنا، والأيام القليلة ستمر بسرعة أكبر مما تتصورين.

اوه، جون لقد تحدث لى تغيرات كثيرة، بحيث سأجد صعوبة بالغة فى طرد اندريه من حياتى. فهو سيظل يلاحقنى كشبح مخيف طوال عمرى... ولكن، كيف يمكننى الاعتراض على كلماتك هذه بدون اللجوء الى الشروح المقنعة والتفاصيل الكاملة!

وصلا الى قصر الصنوبر، فوجدا اندريه يعمل فى الحديقة. رحب بهما ودعا جون، الذى لم ينزل من سيارته، الى البقاء معهما لتناول طعام العشاء. اعتذر جون، قائلا ان عليه القيام ببعض الأعمال الضرورية قبل حلول المساء. ثم أضاف يقول لسالى:

- سأراك صباح غد باذن الله.

سألها اندريه بعد انصراف جون:

- هل قمت بجولة أخرى فى مخيم حوض التماسيح؟

لم تعلم سالى بأن عينيها كانتا تشعان عاطفة، بمجرد النظر اليه... على الرغم من وجود ذلك القناع القاسى الذى يغطى به وجهه، وتلك الشراسة العنيفة فى نظراته. قالت له:

- الى حد ما، وسنذهب بعد غد لاعداد الترتيبات الخاصة بالزواج.

علق على كلامها قائلا بلهجة مشبعة بتلك السخرية اللاذعة التى كانت دائما تكرهها فى حديثه:

يبدو أنك تحصلين على ما كنت تريدين شعرت برغبة قوية فى القاء رأسها على كتفه وغسل احزانها بالدموع، ولكنها قررت المضى فى تحديه... مخافة افتضاح أمر مشاعرها نحوه. قالت له بعنفوان:

- نحصل على ما نريده معا منذ زمن طويل.

- أنت على اقتناع تماما بهذا الأمر، أليس كذلك؟

- طبعا، طبعا. لما لا؟

- لو لم تكونى طفلة صغيرة، لعرفت الجواب بنفسك.

لم تغير الايام القليلة الماضية رأيه فيها، كطفلة لا تستحق زوجا مثل جون... ولكنها بدأت تفهم بوضوح سبب هذه الروح العدائية. ومع ذلك رأت أنه، لا يحق له التحدث معها على هذا النحو هزت رأسها بعصبية، وقالت:

- وماذا عن برياره سنكلير؟ تتصور أنك تفهم امور الآخرين وماذا يناسبهم، ولكنك لا تطبق هذه النظرية على نفسك. عندما ستتزوج تلك المرأة، سوف تجد انك مرتبط بقطعة من الجليد لا تعرف أى معنى للحب أو الحنان.

نظر اليها بغضب شديد ، يكاد يصل الى درجة توجيه صفعة قوية الى وجهها، ثم قال لها بعد بضع لحظات:

- لماذا لا نترك برياره وشأنها؟

- ولكنك ستتزوجها، اليس كذلك؟

- لست مضطرا للافصاح عن مخططاتى ومشاريعى لأحد. نحن على طرفى نقيض، فأنا أعرف ما أريد، لكنك بلهاء لا تعرفين. هيا، لندخل الى البيت.

مشت قربه. فبدأ قلبها يئن ويتلوى... يتعذب ويتألم. لم يلمسها... لم يتحدث اليها، ولكن ابتسامته الرقيقة كانت تثير فى نفسها مشاعر غريبة تدفعها الى حالة من اللاوعى. ارتطم ذراعه فجأة بكتفها، فأحست بقشعريرة تجتاح كافة انحاء جسمها... وبصعوبة بالغة فى

تنفسها. تطلعت نحوه بسرعة، فبدا وكأنه لم يحس بهذه اللمسة التى كادت تصعقها. كيف يمكنها أن تحب رجلا الى هذه الدرجة، وهو لا يهتم بها أو يشعر بوجودها! يا للجنون!

ظلت تتقلب فى سريرها طوال تلك الليلة، بدون أن يغمض لها جفن أو ترتاح عقلا وقلبا. تأكد لها أنها ستكون أكثر أمانا فى حوض التماسيح، حتى ولو اضطرت للنوم مع جون فى العراء صحيح أنه لديها الآن غرفة خاصة بها، ومدبرة النزل ماريا تنام فى غرفة مجاورة كحارس امين... ولكن كل ذلك غير كاف لمواجهة رغباتها وأحلامها. فى حال اذا ما دخل اندريه غرفتها الآن وأخذها بين ذراعيه، فعندها تستطيع أبدا مقاومته... لا بل انها لن تحاول ذلك!

أمضت سالى اليوم التالى فى حوض التماسيح، حيث راقبت عن كثب طبيعة عمل جون وبعض المهام الملقاة على عاتقه وعندما أعادها الى أرض الصنوبر مع حلول المساء، تبين لهما أن اندريه أعد حفلة عشاء رائعة يتم خلالها التعارف بين سالى... الزوجة المقبلة لجون لانج... ومجموعة مختارة من الأشخاص المقيمين فى هذه المنطقة.

توترت أعصاب سالى كثيرا لدى سماعها النبأ، لأنها ليست مستعدة لمواجهة اناس يعرفون بالتأكيد أخبار مغامرتها المثيرة... بفضل تلك الانسانة الخبيثة الماكرة برياره سنكلير. كما انها لم تكن راغبة أبدا فى مقابلة هذه المخلوقة الشريرة، التى كانت مدعوة للحفل.

تطلعت نحو جون، فبدا متضايقا ومتوتر الأعصاب مثلها. ابتسم لسالى مشجعا، ولكنها أحست بتضايقه من اقدام اندريه على خطوة كهذه بدون استشارتهما. قالت لنفسها انه اذا لم يكن هناك بد من حضور هذه الحفلة ومواجهة الأمر الواقع، فمن واجبها على الأقل أن

تظهر فى هذا الحفل بأجمل حلة وزينة.

ذهبت الى غرفتها فاغتسلت، وتزينت، وتأنقت.. ثم عادت الى الحديقة وهى تختال زهوا وكبرا. بدأ الضيوف يتوافدون على قصر الصنوبر، ابتداء من الساعة الثامنة، وكانوا جميعا متشوقين لمقابلة الفتاة التى تسللت الى شاحنة اندريه وتخفت فيها. لقد قامت برياره سنكلير بمهمتها الحقيرة على خير وجه، اذا لم يكن بين المدعوين أحد لا يعرف قصة سالى والتخفى فى الشاحنة. ولكن سالى سجلت أول انتصار لها على برياره. فبدلا من تعرضها للانتقاد، ولنظرات الازدراء والاستنكار، اكتشف أنها أصبحت خلال فترة وجيزة جدا محور اهتمام الجميع ومحط اعجابهم وتقديرهم.

لم تتبادل مع برياره سوى بضع كلمات، اقتصرت فى معظمها على الشكليات أمام المدعوين. تعمدت تجنبها وعدم النظر اليها لأن تصرفات برياره معها كانت باردة وجافة وعدائية الى درجة مذهلة. ز وخاصة عندما يكون اندريه بعيدا عنهما، لكنها تتظاهر أمامه بالود والصداقة.

كانت ليندى أيضا مدعوة الى الحفلة، فشعرت سالى مجددا بالارتياح لوجودها... ولتلك الابتسامات الحلوة الطيبة التى تعلو ثغرها طوال الوقت. ولكن مسحة الحزن الخفيفة التى كانت تظهر بين الحين والآخر على وجهها البشوش وفى عينيها الضاحكتين، أدمت قلب سالى. فهى وحدها قادرة على فهم معاناة ليندى وعذابها، لأنها مثلها تحب رجلا لا يحبها.

لم تر سالى جون كثيرا منذ وصولها الى أرض الصنوبر، ولكنه ظهر فجأة أمامها وهو يحمل لها طبقا تنبعث منه الرائحة الشهية للحم المشوى، شكرته على اهتمامه بها، ثم سألته بهدوء:

- هل أزعجك اقدام اندريه على اقامة هذا الحفل لنا دون استشارتنا؟

- لا، .ر أبدا!

- يا له من متكبر لا يستشير احدا، إنه يفعل ما يريد وفقا لمزاجه الخاص.

- نادراً ما يقدم اندريه على أى خطوة، بدون وجود أسباب كافية.

نعم، لديه أسبابه... وهى تعرفها جيدا، ولكنها ليست قادرة على كشفها أمام جون. تبا لهذه التغيرات التى طرأت على علاقتهما لم تكن لتتردد أبدا فى السباق... فى اطلاعه على كل شىء يخصها، وكانت تعلم دائما انه سيتفهم المسألة برحابة صدر واستعداد كامل للتحليل والمناقشة. إلا أن جون الجديد لم يعد كالسابق، على الرغم من انه لا يزال الصديق الطيب الذى أحبته دائما. يا للغرابة، ويا لسخرية الأقدار لها هى الآن على وشك تحقيق حلمها القديم بالزواج من جون لانج، ومع ذلك فهى تشعر

ربما لأنها حديثة العهد فى مجتمعهم الصغير المحدود وربما مجاملة لجون. لبت كافة الدعوات ، الواحدة تلو الأخرى... الى أن اصبح اندريه كونورز الرجل الوحيد فى تلك الحفلة الذى لم يوجه اليها دعوة للرقص. راقص معظم النساء الموجودات، ربما بداعى الضيافة واللياقة، ولكنه خص برياره سنكلير بحصة الأسد. وعندما كادت تفقد الأمل فى ذلك، اقترب منها بهدوء مبتسما فى رقة ودعاها الى الرقص معه.

هل سترفض دعوة أندريه لا، لا يمكنها ذلك... اذ يكفيها ما تعانيه منه ومن معاملته لها كطفلة صغيرة. تظاهرت بعدم الاكتراث، وبأنها توافق على دعوته لمجرد كونه صاحب الدار، وتمنت ألا يشاهد الارتجاف القوى فى شفتيها أو يشعر باضطراب أنفاسها ذاب وتلاشى بمجرد التصاقها به. ضمها اليه اندريه بقوة وطوقها بذراعيه، ففقدت

كل رغبة فى المقاومة. تضافرت ضدها قوى كثيرة متعددة... موسيقى هادئة حالمة، جو دافىء... رائع... رجل لا كالرجال، فأحست بسعادة عارمة لا حدود لها.

حل منتصف الليل، فبدأ الساهرون المضطرون للأنصراف بمغادرة أرض الصنوبر الواحد تلو الآخر. كانت الظلمة حالكة، فلم تعد سالى قادرة على رؤية وجوه الباقين بوضوح. هل يهمها ذلك؟ لا، فمعها اندريه. نسيت أنها ستذهب صباح اليوم التالى مع جون لاعداد ترتيبات الزواج، فأفكارها كلها مركزة على هذا الرجل الجذاب الذى يثير أحاسيسها وعواطفها.. ويشعرها بمدى أنوثتها بدفئه. وفجأة... تحطم صرح السعادة الذى بنته مؤقتا حولهما، عندما سمعت برياره تناديه:

- أندريه حبيبى، ضيوفنا ذاهبون.

ضيوفنا! آلمها هذا التعبير أكثر من كلمة حبيبى، فبدأ جسمها ينتفض بقوة عندما تركها اندريه وذهب لوداع ضيوفه... ضيوفهما! شكرت سواد الليل الشديد لاخفائه دموعها عن عيون الموجودين، وسارت نحو أشجار الصنوبر المحيطة بالحديقة... لتبكى على انفراد معاناتها ومشاعرها الحزينة.

شعرت تدريجيا بأنها لم تكن وحدها... سمعت أصواتا خافتة لحبيبين يظنان انهما بعيدان عن الآخرين. قررت الابتعاد عنهما، ليتمتعا بعزلتهما... ولكنها تسمرت فى مكانها عندما سمعت صوت جون. حبست أنفاسها وأصغت بانتباه بالغ الى الصوت النسائى، فتأكد لها أن صاحبته ليست إلا صديقتها الرقيقة... ليندى.

اقتربت منهما خلسة بخفة ورشاقة، دون أن تقاوم رفضها لهذا التصرف غير اللائق... وبدأت تتنصت بعناية. كانا قريبين جدا لبعضهما، وكأنهما ملتصقان. وسمعت جون يقول بصوت منخفض، يوحى بالألم والمرارة:

- آسف جدا، يا حبيبتى.

- أعرف...

كانت ليندى تبكى بحرقة ومرارة...

- أنا وحدى مسؤول عن هذا الخطأ الفادح. كان من واجبى أن اكتب لها وأخبرها...

صمت جون بضع لحظات، ثم أضاف:

- ليندى،حبيبتى! لايمكننى الآن التخلى عن سالى، فهى تعنى لى الكثير منذ صغرنا. آه، تلك الخطوة المجنونة التى أقدمت عليها... هذه هى سالى، المتهورة والمغامرة دائما.

- سيكون الأمر بالغ الصعوبة على نفسى.

بدت ليندى وكأنها تبذل جهودا جبارة وشجاعة للسيطرة على نفسها، ولكن الارتجاف كان واضحا فى صوتها. وسمعت سالى جواب جون:

- سيكون جحيما... عندما أراك... وأفكر بالمشاعر القوية التى أكنها لك. أحببت سالى دائما، وقد بادلتنى هذا الحب بمثله أو حتى باقوى منه. ولكننى لا أحبها بقدر ما أحبك أنت. لماذا لم أكتب لها، وأطلعها على الحقيقة؟ تبا لى ولهذه التصرفات الرعناء! اعذرينى، يا حبيبتى. أنا آسف جدا.

اقتربت منهما سالى، وقالت فى تأثر وانفعال:

-آسفة جدا ياجون.. فلقد قطعت خلوتكما...

شهقت ليندى وابتعدت بسرعة عن جون، ولكن الرجل ظل واقفا بدون حراك... ثم سألها بعد لحظات صمت رهيبة:

- هل... هل سمعت؟

- كل كلمة، وأشكر الظروف على ذلك! كان يفترض بك أن تكتب لى عن هذا الأمر. كنت سأتفهم كل شئ.

- هل ستتفهمين حقا، يا سالى؟

- أتصور... اتصور ذلك. كنت سأشعر فى البداية بألم شديد ، إلا اننى كنت سأتجاوز المحنة.. بطريقة أو بأخرى...

قامت بهذه الرحلة الطويلة المضنية بدون أى مقابل... ولتواجه بمثل هذا الفشل الذريع. لو أبلغها مسبقا، لكان وفر عليها مشقة القيام بهذه المغامرة المجنونة... وعذاب الوقوع بحب رجل سيتزوج غيرها. لن تحب أحدا بعد اندريه! قالت لها ليندى:

- سالى! انا آسفة.

- لا، يا عزيزتى، فأنت تناسبين جون الى درجة كبيرة.

سمعتهما يتنفسان الصعداء، فضحكت بنعومة وأضافت قائلة:

- يتحتم عليكما بالطبع الزواج لتتويج الحب الذى بينكما... وساكون أول المهنئين. وتاكدى يا ليندى... أننى لا أسلمه الى أى فتاة تعجبه أو يعجبها، لأننى أحب جون... من صميم قلبى... كاخ عزيز لى

قال لها جون بسرعة ولهفة:

- سالى..سالى، هل تعنين ذلك؟

- نعم. تزوج ليندى، فأنتما... تناسبان بعضكما تماما.

- وأنت؟ ماذا ستفعلين؟

أصبح الموقف الآن اكثر صعوبة وتعقيدا، ولكنها تحاملت على نفسا وقالت:

www.elromancia.com

- عرفت... عرفت خلال الأيام الثلاثة الماضية أننى... أننى لا أحبك، كما يجب على المرأة أن تحب زوجها.

- ولكنك لم تقولى لى ذلك أبدا! كنت تحاولين دائما القيام بدور الحبيبة الوفية.و ترفضين التخلى عنى!

صمت لحظة، ثم أضاف قائلا... مستوضحا أمرا ما يزال يجهله:

- لماذا أتيت اذن؟ هل كنت تعتقدين... هل ثمة شخص آخر فى حياتك الآن؟

لم تتمكن سالى من الاجابة على هذا السؤال المحير، فصرخت ليندى بصوت خرق جدار الصمت:

- اندريه! انه اندريه، أليس كذلك؟

- نعم. ولكنه لا يريدنى.

قالت لها ليندى بلهجة جادة جدا:

- انت مخطئة يا سالى! هل تذكرين ما حدث بعد ظهر ذلك اليوم، عندما أحضرت له بعض الأوراق؟ شاهدت وجهه وهو ينظر اليك، ولاحظت على الفور مدى تعلقه بك. ولما ذكرت أمامى اسم جون وعزمك على الزواج منه، أصبت بهلع شديد حرمنى من التفكير بموضوعكما.

- اندريه... سيتزوج برباره. اعتقد أنه يجب أن أعود الآن، لأننى أشعر بالبرد.

اقتربت سالى من ليندى، ثم عانقتها بحرارة وقالت لها:

- اعتن بجون لأجلى، يا ليندى.

قبلت جون، ولكنها لم تقل له شيئا بسبب تأثرها البالغ. الآن... عادت علاقتهما الى سابق عهدها أثناء الطفولة وسنوات المراهقة، وسوف يفهم حقيقة مشاعرها حتى ولو لم تتفوه بكلمة واحدة.

عادت الى الحديقة، حيث كانت الحفلة لا تزال فى أوجها. ولكنها فقدت أى رغبة فى الرقص أو التحدث مع أحد، ولم يعد يهمها سوى التوجه فورا الى غرفتها وتجهيز أمتعتها للرحيل. ستطلب من اندريه فى الصباح نقلها الى أقرب قرية، لتنتقل منها الى ستريمز... ثم الى بيتها وعائلتها.

جميع الاحتمالات والبدائل أفضل من البقاء فى أرض الصنوبر. فلقد فسخت خطوبتها مع جون، ولم يعد هناك بالتالى أى سبب لتمضية يوم واحد فقط فى منزل اندريه. لو كانت قادرة على مغادرة بيته هذه الليلة، لما ترددت لحظة واحدة فى ذلك.

أعجبها تصرفها مع جون، لأنه التصرف السليم الوحيد...ليس بالنسبة اليه فقط، ولكن بالنسبة اليها أيضا. ألم يتأكد لها قبل هذه الحفلة، أنها قد لا تتمكن ابدا من طرد اندريه من حياتها وقلبها؟

انتهت سالى من وضع جميع ملابسها فى الحقيبة، بما فى ذلك تلك الثياب التى كانت عليها أثناء الحفلة... المشؤومة، فتح اندريه الباب فجأة، ودخل بدون استئذان. بدا جذابا، قويا، متوحشا، فتاكا، مثيرا... هكذا ستتذكره دائما. كم هى سخيفة عندما كانت تحاول اقناع نفسها بأنها تكرهه، وبأن صورته لن تلاحقها طوال العمر! فأطلق تلك الضحكة الخفيفة وهو يقول:

- لا مبرر للتهرب مما حدث يا سالى.

أحنت رأسها فى أسى، فأمسك بيديها. تجمدت فى مكانها، وهو

www.elromancia.com

يتأمل وجهها الجميل. مرت لحظات عسيرة جدا، أضاف بعدها بصوت ناعم رقيق:

- جميلة... جميلة جدا. مسكين جون، فهو لا يعرف قيمة التى تستعد للرحيل فى الصباح:

ذهلت وارتبكت... فسألته بصوت هامس تقريبا:

- كيف عرفت؟

رفع احدى يديه وأمسك بذقنها، بحيث يتمكن من النظر الى عينيها مباشرة... وقال:

- أعرف كل شىء .. فهل أنت مستاءة، ياسالى؟

لم تجبه على الفور، فنظراته أخرستها وجاذبيته حبست الهواء عن رئتيها. مضى الى القول:

- وجدت جون وليندى معا بين أشجار الصنوبر، فقررت أن تتركيه لليندى... أليس كذلك؟

توقف لحظة وهو يوجه الى عينيها نظرات حارقة، ثم أردف:

- هل هى طعنة فى الكبرياء وعزة النفس؟

هزت رأسها، ولم تتمكن من الاجابة. لمعت عيناه فجأة، وسمعته يأخذ نفسا عميقا. ثم عاد الى الكلام مجددا:

- قال لى جون أن الحب الذى كان يجمع بينكما ليس حب رجل وامرأة. هل هذا صحيح، يا سالى.

سالى! هاهو يكرر الاسم للمرة الثانية خلال لحظات! لم يعد يهمها أن اندريه سيتزوج برباره، وأن كرامتها ستكون أكثر مناعة وقوة اذا

تمكنت الآن من اختلاق أية أعذار. لا تزال يده ممسكة بذقنها، ونظراته مركزة على عينيها لتسحب منهما الحقيقة التى لم تعد قادرة على تغطيتها. قالت له بصوت واثق هادىء:

- نعم. هذا صحيح.

ظهر الارتياح فى وجهه وعينيه، فانهمرت دموعها. حاولت ابعاد وجهها عنه، ولكن يده القوية منعتها من تحقيق ذلك. أدركت سالى عندئذ، انها لم تعد عابئة بما اذا كان قادرا على قراءة أفكار وفهم مشاعرها. ليقل عنها أندريه الآن ما يشاء... ليقل انها سخيفة وهامشية، فأين الكبرياء وعزة النفس أو ما تبقى منهما! وضع يده على كتفها، وسألها بهدوء ورقة:

- والآن، ماذا كنت تفعلين عندما اقتحمت غرفتك؟

- أعد نفسى للسفر. أنا ذاهبة، يا اندريه.

قال لها بلهجة صارمة:

- لا، لن ترحلى.!!

نظرت اليه بدهشة واستغراب بالغين، وقد لمحت بصيص أمل فى كلماته الثلاث القوية. سألته متلعثمة ومترددة:

- ماذا... ماذا تقصد يا أندريه؟ لا يمكننى البقاء هنا... بعد فشلى فى تحقيق الزواج الذى كنت اصبو اليه... وانتظره منذ سنوات.

- يمكنك البقاء كزوجتى ، يا حبيبتى، أيتها القطة الضائعة.

قالت له بصوت مرتبك تغمره السعادة:

- زو... زو... زوجتك؟

www.elromancia.com

- نعم! هل تقبلين بالزواج منى؟

أهذا حلم أم حقيقة؟ هل تصدق ما سمعته اذناها؟

- ولكن ... ولكن برياره... قالت...

- لم تكن امنيات برياره يوما مطابقة لأمنياتى.

كان يبتسم، ولكنها شعرت بتململ ونفاذ صبر فى يديه اللتين بدأتا تجذبانها نحوه بمحبة وحنان واضحين. أرادت سماع تلك الكلمات الرقيقة التى تحلم بها منذ ايام، ولكنها وجدت صعوبة بالغة... فاكتفت بالقول:

- هل تعنى أنك...

- نعم احبك، يا صغيرتى الشقية المتهورة... يا قطتى الحبيبة. أحببتك منذ اللحظة التى وجدتك فيها نائمة على ظهر شاحنتى. هل أجبتك على سؤالك؟

قالت له هامسة:

- اوه، نعم، نعم. وأنا احبك، ولذلك... لم يدعها تنهى جملتها بأن حبها له يفوق حبه لها مرات ومرات... مع أنها كانت عاجزة عن مصارحته بذلك.

عانقها اندريه بحنان بالغ.. وضمها بقوة بين يديه القويتين.. فأحست بحنان زائد يدغدغ مشاعرها.. وكانت لمساته الحانية الرقيقة ابلغ من أى كلام على الاطلاق. فهمها اندريه الآن... وسيظل يفهمها الى الأبد.